صدر شیم صدرا و سیعم

صدر [illegible] ملاصدرا و [illegible]

۵
در ۳۹
۷۲۵

۷۲۵
ورق

حدوث عالم و اللب

و دو رساله دیگر

ملا صدرا و محسن بن مرتضی ۱۱۴۸

۷۲۵

هو

رسالة اثبات حدوث العالم لصدر العرفاء
والمتالهين وزبدة الحكماء والمعظار
محمد بن ابرهيم الشيرازي
المشهور بصدر الدين
طاب ثراه

من افاداته نور الله مرقده

ان المراد بالامانة في قوله تعالى انا عرضنا الامانة الاية الوجود فان كل موجود سوى الله
موجود ثابت في لدن حدوده لا وقت فناء له كانه مالك لوجوده لا يحول ولا ينقلب [illegible]
شأنه لا افرد ولا فرد وجود له [illegible] الان في حدته [illegible]
من وجد [illegible] ثابت على [illegible] ومكان
الوجود امانة [illegible] لقاء الله والوصول
اليه [illegible] العارف [illegible] الرازي
ان [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم من قديم قد تفرد بالقدم والسرمدية ومن دايم قد توحد بالبقاء
والابدية كما استاثر بالوجوب والاحدية والالهية والصمدية واتسم غيره بصفات
الحدوث والبطلان كما اتصف بسمات النقيصة والامكان كان موجودا في
الازل ولم يكن في الكون رسم ولا طلل لانه هو الاصل في الوجود وما سواه شبح
زايل وظل وشل الا كل شيء ما خلا الله باطل حتى العقول والعلل وكل شيء هالك الا
وجهه الكريم بقبيل الهلاك حتى الارواح والاملاك فضلا عن الكواكب والافلاك
لتناهي الاشواق والحركات الى الغايات والمحركات ورجوع نقايص المعاليل
والامكانات الى تمام الفواعل لكمال العلات فكل متحرك يشهد بدثوره وعبوره
وكل ناقص مشتاق ينادي بزوال وجوده وقصوره فما من ممكن الا وهو مشتاق
او سالك فالله الباقي وكل شيء هالك هو الذي كتب على نفسه الرحمة وانشاء ابتداء
لذاته عالم العقول والكلمة والقدرة والحكمة وارجع كل شيء اليه يوم القيمة يوما
كان مقداره خمسين الف سنة فابدع اولا عالم الامر بالقول والكلام فافاد كلمات
عقلية في غاية الشرف والتمام ثم انشا بامره الاعلى كتاب الخلق والتقدير بقلم الحكمة

والتصوير

والتصوير كتابا على غاية الجودة والاحكام ونهاية الحسن والتمام فخلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام كل يوم كالف عام واوحى في كل سماء امرها بتسوية
النفوس وتركيب الاجرام ثم استوى على عرش الرحمة لتدبير النظام وايجاد
الاكوان والانام فكتب كتابا آخر على الواح الاقدار والابعاد وصحايف
الاجرام والمواد القابلة للنسخ والفساد بمداد الطبيعة السيالة المتجددة
بالذات وصور الكاينات من البسايط والمركبات والسموات والاسطقسات
كل ذلك على سبيل المحو والاثبات فسبحانه سبحانه ما اشد رحمته ورافته
فانظر ايها السالك الى آثار قدرته كيف دبر امره وحكمته حيث انشا كل شيء اولا
بعلمه وكتبه على نفسه بحكمته واوجبه ثم انشاه ثانيا بقوله وكلامه ثم كتبه ثالثا
بقلمه في الواح قضايه وصحايف تقديره ثم خلقه رابعا في دفاتر تكوينه ومواد تصويره
ثم حكم برجوع كل شيء اليه وعوده الى بالبدء في النهاية على عكس ترتيب الصدور
منه في البداية لانه الفاعل والغاية والصلوة على اشرف درجات الانسان
ذو اسطة ايجاد الارواح والاكوان وغاية وجود الافلاك والاركان والحد
المشترك بين الوجوب والامكان الذي عرج بجسده الى عالم السما حتى بلغ
سدرة المنتهى عندها جنة الماوى وعرج بروحه الى العالم الاعلى جاز طبقات الحجب الى
العلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فبلغ

من ربه كلمات وحكم واوتي جوامع الكلم فتم بكمال رتبة النبوة وختم وبالوصي الذي
نصبه بالنص الجلي كملت دايرة الولاية وبآله انتهت سلسلة العصمة والامامة
وبامته خير الامم قامت القيمة اللهم صل عليه وآله وسلم وارزقهم نصيبهم من
العلم والحكم من مفاتيح الغيب وخزاين الجود والكرم وبعد فالملتجي بباب
ربه العليم الحكيم محمد المعروف بصدر بن ابرهيم القوامي قومه الله بقبضة
الاعتصام هذه يا اخواني مقالتي في تحقيق مسئلة حدوث العالم التي
قد تحيرت فيها افهام الفحول وتبلدت عن ادراكها اذواق العقول لغاية
غموضها وصعوبة سلوكها ودقة طرايقها وكثرة اشواك الشكوك في سبيلها
وترادف العقد والاشكالات على دليلها كم قرعوا ابوابها ولجوا فوجدوها
مغلقة الابواب فلم ينجوا وكم طلبوا السبيل الى جنابها والحوا فصادفوها
مسدودة غير مفتحة على الطلاب فلم يعالجوا طالما انكسرت سفاين حجج
المسافرين بمسابير انظارهم في لجج هذا البحر العميق بلا نجاح وانهزمت جنود
المناظرين بمشاعل افكارهم في فجاج هذا المسلك الدقيق من غير فلاح وذلك
لكثرة افواج امواج النقوض والاعتراضات في غلبة تصادم الشكوك و
الشبهات فالناس في هذه المسئلة بين مقلد كالحيارى او مجادل كالسكارى ومن
العقلاء المدققين والفضلاء المناظرين من اعترف بالعجز عن هذا الشان ومن

امار

اثبات الحدوث للعالم بالبرهان قايلا الحمد لله في ذلك الحدوث المشهور والاجماع
من المليين وانت تعلم ان الاعتقاد غير اليقين اذ الاول قد يحصل بالتقليد او
الجدل وبما انبساط الظن والتخمين والثاني لكونه بصيرة باطنية لا يحصل الا بالبرهان
المنور للعقول او بالكشف التام التابع للوصول وبالجملة اليقين نور من انوار
الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده المتقين وطريق حصوله اما البرهان او
الحدس بل الالهام واما بالاعتقاد الذي مبداه الاوضاع الحسية كالتواتر والسماع
والشهادة والاجماع فهو غير المنور الشهود والباطن والحضور ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور فاليقين نور عقلي لا يحصل الا بسبب نور هو اعلى منه وفوقه والاعتقاد
الذي مبداه امر محسوس فلا يفيد الا محسوسا دونه اذ الشيء لا يفيد ما هو اشرف منه
فلا يكون نورا عقليا وهذا مما لا يخفى على ذوي الاحوال وتحقيقه يحوج الى مجال اوسع
من هذا المجال والمقصود ان هذه المسئلة ركن عظيم من معارف الايمان لا يجوز
الاكتفاء فيه بالتقليد من دون الايقان الحاصل بالبرهان كما قال تعالى قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين ومنهم من تصدى لاثبات هذا المقصد العظيم المبتني عليه كثير
من قواعد الدين القويم بالادلة المتزلزلة الاركان والاقيسة المختلة الاصول
الضعيفة البنيان او بايراد المناقضات والمنوع على مقدمات الخصوم وان
كانت مما يشهد بصحتها العقول والفهوم وارتكاب المجادلات التي تنبو عنها

الاذواق السليمة عن الامراض النفسية والطبايع النيرة السقيمة باسقام العصبية
كما هو عادة اكثر المتكلمين في ارتكابهم طريق المجادلة من غير بصيرة ويقين وايرادهم
المقدمات الواهية الاساس الكثيرة الغلط والالتباس والانظار المفروضة
القياس المزخرفة بالاقاويل المضلة للناس بل الاكياس زعما منهم ان تمهيد
اصول الدين مما يحتاج الى مثل تلك الكلمات الواهية وما احسن ما قال صاحب
احياء العلوم في حق من تصدى لنصرة قواعد الدين بالامور السخيفة المبتنية على
المجازفة والتخمين انه صديق جاهل للدين وقال ايضا ان ايراد مثلها في معرض
الانتصار للشرع القويم مما يؤدي الى خلل عظيم من حيث ان ضعفاء العقول
ربما يزعمون ان اصول الدين مبتنية على مثل هذه الدعاوي الواهية وهذا كما ان بعض
المحدثين نقل ان بعض الزنادقة وضع الاحاديث في فضل الباذنجان منها كلوا
الباذنجان فانها اول شجرة آمنت بالله ومنها ما يدل على ان فيه دواء كثيرا وقال
انما وضعته ليتوسل به الى القدح في صدق احاديث من شهد الله تعالى بصدقه ونطق
المعجزات بثبوت نبوته وكمال حكمته وانه اصدق العالمين كما قال والنجم اذا هوى
ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ومنهم وهم جمهور
الفلاسفة الذين هم من اتباع المعلم الاول ارسطاليس كابي نصر وابي علي ومن
يحذو حذوهما ذهبوا الى ان الاجرام الفلكية والكوكبية بنفوسها وقواها وطبايعها

قديمة

قديمة وكذا اعراضها والاين والمقادير والالوان والاشكال والاوضاع الكلية
وذهبوا الى ان تخيلاتها ايضا قديمة وبعضهم يثبتون لها بسبب استخراج الاوضاع
الممكنة من القوة الى الفعل كمالات واشراقات تفيض على نفوسها من مباديها العقلية
لكن اكثرهم على ان جميع صفاتها وكمالاتها حاصلة بالفعل الا الاوضاع الجزئية
حتى انهم صرحوا بان المطلوب لها نفس الحركة او نهايتها التشبه بمباديها التي هي براءة
من شوائب القوة كلها قالوا لان السماويات كاملة بالفعل من حيث الذات و
سائر الصفات والكمالات الا فيما يتعلق بالحركة الوضعية من خصوصيات الاوضاع
الجزئية فانها لا تحتمل الجمع بين اشخاص الكل على نهج الثبات بل على نهج التبدل
فكلما يخرج من القوة الى الفعل يبقى القوة والامكان لغيرها من الافراد الغير المتناهية
فاستحفظ نوعها بتوارد الاشخاص تتميما للتشبه بالمبادي العالية التي هي بالفعل
من جميع الجهات بقدر الامكان ولما كان التشبه لازما للحركة جعلوه الغاية
المطلوبة باعتبار الملازمة وكذا ذهبوا الى ان مادة العنصريات قديمة بالشخص
ومطلق صورها الجسمية والنوعية ومطلق الكيفيات والاعراض قديمة وهذه كلها
من الفلسفة العامية التخيلية التي فيها شوب زيف ونقد وتشابك حق وباطل
كما سيظهر لك في تحقيقنا لهذا الباب وتمييزنا القشر عن اللباب واما النفوس
الناطقة الانسانية فبعضهم قائلون بازليتها وهو المشهور من افلاطون الالهي و

فى المخالف لما اشتهر منه وهو الثابت عنده نافى مذهبه ومذهب الاقدمين من
القول بالحدوث الزمانى لهذا العالم الكيانى كما هو راى اهل الحق فان اولئك
الاساطين من اعاظم الحكماء الاولين المقتبسين انوار علومهم من مشكوة نبوة
الانبياء الماضين واهل السفارة الالهيين كهرمس المسمى بوالد الحكماء وتاليس
الملطى وانكسيمايس واغاثاذيمون وانباذقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطن
والكشف لنا من تتبع اثارهم وكلماتهم المتفرقة وكتبهم المرموزة انهم على مذهب
اهل الحق واليقين فى حدوث العالم وساير الاصول العرفانية والقوانين الحقة
والحكمة والدين وقد وجهنا كلام افلاطن فى قدم النفس بما لا ينافى القول
بحدوث العالم كما ستسمع اليه حيث يحين حينه ان شاء الله وبالجملة القول بقدم
العالم انما نشا بعد الفيلسوف الاعظم ارسطاطاليس من جماعة رفضوا
طريق الربانيين والانبياء وما سلكوا سبيلهم بالمجاهدة والرياضة والتصفية
وتشبثوا بظواهر اقاويل الفلاسفة المتقدمين من غير بصيرة ولا مكاشفة فاطلقوا
القول بقدم العالم وهكذا اوساخ الدهرية والطبيعية حيث لم يقفوا على اسرار
الحكمة والشريعة ولم يطلعوا على اتحاد ماخذهما واتفاق منواهما لشدة رسوخهم
فيما اعتقدوه من قدم العالم وزعمهم ان ذلك مما يحافظ على توحيد الصانع وعن
انثلام الكثرة والتغير على ذاته وان قياساتهم مبتنية على مقدمات ضرورية

مبادى

مبادي البرهان لم يبالوا بان ما اعتقدوه مخالف لما ذهب اليه اهل الدين بل اهل
الملل الثلث من اليهود والنصارى والمسلمين من ان العالم بمعنى ما سوى الله وصفاته
واسمائه حادث اى موجود بعد ان لم يكن بعدية حقيقية وتاخرا زمانيا لا ذاتيا فقط
بمعنى المفتقر الى الغير المتاخر عنه فى حد ذاته كما هو شان كل ممكن بحسب حدوثه الذاتى
وهو لا استحقاقية الوجود والعدم من نفسه ومنهم وان كان ممن التزم دين الاسلام
لكنه يعتقد قدم العالم ويظن ان ما ورد فى الشريعة والقرآن واتفق عليه اهل الاسلام
فى باب الحدوث للعالم انما المراد منه مجرد الحدوث الذاتى والافتقار الى الصانع و
ذلك القول فى الحقيقة تكذيب للانبياء من حيث لا يدرى ولا يحس قايله ولا يامن
من التعذيب العقلى والحرمان الابدى لان الجهل فى الاصول الايمانية اذا كان مشفوعا
بالرسوخ يوجب العذاب الروحانى فى دار المآب ثم تاويل ما ورد فى نصوص الكتاب
والسنة انما هو لقصور العقول عن الجمع بين قواعد الملة الحنيفية والحكمة
الحقيقية والا فالفاظ الكتاب والسنة غير قاصرة عن افادة الحقايق وتصوير
العلوم والمعارف المتعلقة باحوال المبدا والمعاد حتى يحتاج الى الصرف عن
الظاهر للاقاويل وارتكاب التجوز البعيد والتاويل وهكذا فعله ابو نصر الفارابى
فى مقالته التى فى الجمع بين الرايين والتوفيق بين مذهبى الحكيمين افلاطن
وارسطاطاليس حيث حمل الحدوث الزمانى الوارد فى كلام افلاطن حسبما

اشتهر منه ودلت عليه الالفاظ المأثورة منه على الحدوث الذاتي ونرام قصوره
في البلوغ الى شأو الاقدمين الاساطين والجزم حاصل لهذا الفقير ان مذهب
اولئك الاساطين الواصلين الى منازل الاولياء الراسخين المقتبسين انوارهم
من مشكوة نبوة الانبياء الكاملين بعينه مذهب اهل الحق واليقين فيما يتعلق بالمعارف
الالهية واحوال المعاد وعلم النفس وما فوقها وما بين يديها من مقامات الاخرة
والمثول بين يدي الله والحساب والكتاب والميزان والجنة والنيران وغير ذلك
لان طريقهم واحدة في العلم والعمل وهي تصفية الباطن عن الباطل وتخليص القلب
عن الشواغل وتهذيب الاخلاق عن الرذايل وتجريد الفكر عن وساوس العادة
وشوايب الطبيعة واخماد نايرة النفس والوهم ليتصلوا بالملاء الاعلى وليحظوا
السعادة القصوى وشاهدوا الحضرة الالهية وفازوا بالنعيم السرمدي وهو طريق
جميع الانبياء والمرسلين وسبيل الحكمة والتوحيد كما قال تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى وقوله
كذلك نوحي اليك والى الذين من قبلك وقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف
ابرهيم وموسى وقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقوله قل هذه سبيلي
ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وطريقة ما سواهم استعمال آلات الفكر و
الروية واشتعال نايرة الوهم والخيال والاشتغال بالمباحثة والجدال وصرف العمر

في خلط الاقوال فمثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون ومما يدل على ان مذهب اولئك الاساطين
هو بعينه مذهب اهل الشهود واليقين في هذه المسئلة ما قد صرح افلاطن في
كتابه المعروف بفاذن وفي كتابه المعروف بطيماوس كما حكى عنه قوم ممن شاهدوه
وتلمذوا له مثل ارسطاطاليس وطيماوس وثاوفرطوس وابرقلس حيث قال
بهذه العبارة ان للعالم مبدعا محدثا ازليا واجبا بذاته عالما بجميع معلوماته على
نعت الاسباب الكلية كان في الازل ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل الا مثالا
عند الباري سبحانه وربما يعبر عنه بالعنصر الاول ويستعمل ما اراد من العنصر الاول
وما ذكره ايضا محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل ان
القول بقدم العالم وازلية الحركات بعد اثبات الصانع والقول بالعلة الاولى
انما ظهر بعد المعلم الاول لانه خالف القدماء صريحا وابدع المقالات على قياسات
ظنها حجة وبرهانا فنسج على منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل اسكندر
الافروديسي وثامسطيوس وفرفوريوس شراح كلام ارسطو ومثل الشيخ اليوناني
ويوحانس النحوي والاسكندر الرومي وصنف ابرقلس المنتسب الى افلاطن في هذه
المسئلة كتابا واورد فيه تلك الشبهات وهي ستة والا فالقدماء ما ابدوا في العالم
الا القول بالحدوث والمتعصبون لابرقلس كانوا يمهدون له الاعذار في ايراده

تلك الشبهات انتهى كلام الشهرستاني وسيظهر لك فيما سيأتي الخلط في كلامه والتعدي عن الحق فيما رمى به الفيلسوف الاعظم عند ذكرنا مقالاته وكلماته الرشيقة في كيفية الحدوث وتعلم منها انه برئ من تهمة قدم العالم في حقه كما هو المشهور والظن يخطئ ويصيب وكان ظني بمعلم الفلاسفة انه كاستاده افلاطن واشياخه الماضين قائل بالحدوث الزماني لهذا العالم اذ من المستبعد ان افلاطون العظيم ما افاده هذا التعليم او كان بذلك ضنينا على مثله في هذا المقصد العظيم المهم الذي هو احرى كان الحكمة التي تعز الجهل بها للانسان في معاده حتى صدق الله ظني به وبلغ حد اليقين لما طالعت منه كتبه وكلامه فوجدت من آدابه وعلومه في هذا الباب ما بلغ في التحقيق والاجادة قدر النصاب وذكر العلامة الدواني في رسالة انموذج العلوم لاني رايت في بعض كتب الفلسفة وقد نسخ بخط قديم قبل هذا التاريخ باربعمائة سنة نقلا عن ارسطاطاليس انه قال لم يقل احد من الفلاسفة بحدوث العالم الا رجل واحد وقال مصنفه انه عنى به افلاطن انتهى اقول لا يبعد ان يكون مراد الفيلسوف لو كان هذا النقل ثابتا ان القول بالحدوث الزماني مختص بافلاطن في زمانه من بين معاصريه دون غيره لغموضه ودقته على وجه لم يتيسر الوصول اليه لغيره وليس كلام هذا الفيلسوف صريحا ولا مشعرا بان مذهب افلاطن غير مرضي عنده وحكى ايضا عن افلاطن انه قال في اسؤلته عن طيماوس ما الشيء الكاين ولا وجود له وما الشيء الموجود ولا كون له [illegible]

الحركة والزمان لانه لم يوثقهما لاسم الوجود لتجددهما ودثورهما ونعني بالثابت الجواهر العقلية التي هي فوق الزمان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود هكذا قيل في تفسير كلامه وسيتضح لك في مستانف كلامنا ان شاء الله تعالى معناه ما ذكره ونحو وجود الجواهر العقلية وقد مهامع كوننا ذاهبين الى ان جميع ما سوى الله حادث ولا قديم ذاتا او زمانا الا الله ولما كانت هذه المسألة عندي في غاية الوضوح والانارة لم اجد من نفسي رخصة في كتمانها وعدم الاشاعة والافاضة بها على من يستاهلها ويقبلها فشرعت في الكشف عن نقابها وسهلت السبيل الى بابها رجاء من الله ان يجعلها لي ذخرا ليوم الدين وان يجعل لي بها وبساير نظايرها الفريدة لسان صدق في الاخرين فاشتغلت اولا بتمهيد قوانين عقلية واصول حكمية نعتمد عليها ونفتقر اليها في هذا المطلب فنبرهن عليها ونوضحها حق الايضاح ثم نستنتج منها ما اردناه مستعينين بقوة الله العزيز الفتاح وواهب النور والحيوة على الارواح والاشباح ثم نذيل الكلام بذكر اقوال الفلاسفة الاقدمين وتحقيقها وشرح ملغزها وبسط مرموزها تتميما للمرام وتوضيحا على الافهام وتلك القوانين والاصول نذكرها على الاجمال تصور معنى الامكان والوجوب وتحقيق القوة والفعل والحركة والسكون واثبات الطبيعة لكل متحرك واثبات الحركة الجوهرية لكل صورة طبيعية والاشارة الى نحو وجود الهيولى وتحقيق معنى

وجود العقليات الصرفة والصور المفارقة والاشارة الى ان النفس من جهة الفصل عين الطبيعة الجسمانية ومن جهة الذات عين الماهية العقلية والاشارة الى معنى الفناء في التوحيد للكل واثبات القيمة الكبرى ورجوع كل شيء اليه تعالى ولنورد هذه الاصول في فصول والله ولي التوفيق وبيده ازمة التحقيق

الفصل الاول في الامكان والوجوب اعلم ان معنى الامكان في الماهيات سلب ضرورة الوجود والعدم عن الشيء وهو صفة عدمية صدقها اذا كان ذاتيا لا يستدعي وجود موصوفها وان كان حين الوجود فهو ثابت في مرتبة الذات من حيث هي هي كالا باعتبار الوجود فالمبدعات انما لها في نفس الامر الوجوب والوجود ومعنى الامكان انما يثبت لها باعتبار ماهياتها المعتبرة من حيث معناها اذا قيست حالها الى الوجود والعدم ولذلك قال الشيخ ابو علي في تعليقاته الماهية مسودة منه تتسم بالامكان في الاتصاف ان وجود الحق لا يكسي المعلولات من تقدم الامكان عليها وقال في تفسيره للمعوذتين عند قوله رب الفلق فالق ظلمة العدم بنور الوجود هو الله الا ماهيات لكونها تحت سطوع النور الاول واذا كان استعداديا كان صدقه مستدعيا لوجود الموضوع لكونه وصفا لامر متعين جزئي باعتبار وجود خاص لان جهته ان معناه مخالف لمعنى الامكان الذاتي كما زعمه بعض الناس حيث قالوا بان معنى الامكان في الكاين غير معناه في المبدع لان هذا فاسد والالما صح منهم اثبات المادة لكل

متحرك وحادث بانه قبل الحدوث ان لم يكن ممكنا لكان اما واجبا او ممتنعا فعلى التقديرين يلزم التناقض او الانقلاب فقد علم من كلامهم ان معنى الامكان في المبدعات والكاينات واحد والفرق بامر خارج وهو ان امكان المبدع حال مهيته بالقياس الى مطلق الوجود والعدم وامكان الكاين حال الشيء الجزئي بالنسبة الى وجود خاص وممكنية المهية بذاتها لا بشيء اخر زايد وهي بالقياس الى اصل الوجود المطلق والعدم المطلق وممكنية المادة لصورة سابقة او كيفية قايمة بها بالقياس الى كون او فساد فما به الامكان غير الممكنية فيهما جميعا الا انه ربما يطلق عليه الامكان من باب اطلاق الشيء على مبدائه القريب وبهذا يختلف قربا وبعدا وكمالا ونقصا فصورة النطفة اقرب الى الحيوانية من صورة الدم وهي من صورة التراب والعبد من صورة العلقة وهي من صورة المضغة فالامكان القريب يسمى استعدادا والبعيد قوة رمز مشرقي معنى الامكان في الوجودات الخاصة الفايضة عن الحق يرجع الى نقصانها وفقرها الذاتي وكونها تعلقية الذوات حيث لا يتصور حصولها متمازا عن جاعلها القيوم فلا ذات لها في انفسها الا مرتبطة الى الحق الاول فاقرة اليه كما قال والله الغني وانتم الفقراء وكلما كان الوجود اقرب الى الوجود الحق كان الارتباط به اشد وتصور الانفكاك ابعد وكلما كان الوسايط بينه وبين الجاعل اكثر كان لحوق الغيرية وعروض

الامكان من جهة المهية اكثر ولهذا المعنى يكون معنى الامكان في الابداعيات العقلية
كونها فاقرة الذوات الى الحق الاول لكونها في ذواتها بحيث يفيض عليها وجوده و
آثار وجوده وفي المهيات كونها في ذواتها مسلوبة ضرورة الوجود والعدم عنها
تنبيه ومما يجب ان يكون متحققا عندك ان موضوع معنى الامكان
لكونه عدميا لا بد وان يكون عدميا او ينتهي الى امر عدمي اما الامكان الذاتي فالمهية
فالى المهية المعراة في حد نفسها عن قيد الوجود ومقابله واما الاستعدادي فالى امر فيه
قوة الوجود المتجدد لبعد العدم وهي الهيولى الخالية عن كل نعت وصورة في ذاتها
الا ان هذا الامكان لكونه يبطل مع الفعل ولا يجامعه فلا سبيل لا محالة متقدم
عليه طبعا واخطأ من قال ان القوة متقدمة على الفعل كالقائلين بانه كان قبل
وجود العالم خلاء غير متناه او ظلمة او هاوية وهم فرق قد حكى الشيخ ابو علي كلامهم
في الشفاء وسبب هذا الامكان لا محالة حادث يسبقه امكان آخر سبقا
زمانيا وهو ايضا محتاج الى سبب يسبقه سبقا آنيا وهكذا فامكان وجود كل صورة
حادثة يتحصل ويتقوم بصفة موجودة في هيولاها وينتزع منها بحيث اذا اخذت
تلك الصفة عقلت انها امكان وجود تلك الصورة وهكذا كسعة الحوض
مثلا فانها صفة للحوض فاذا عقلناها واحضرناها معها في الذهن قدر ما يملاها و
يسعه من الماء كان امكانا له فانفسخت شبهة من قال ان الموجود كيف يكون

مضافا

مضافا الى المعدوم ولان السعة معنى وجودي والامكان عدمي فكيف يكون امر
واحد قوة وفعلا وذلك لان السعة في مثالنا قوة بالقياس الى ما يسعه وهو عدمي لكونه
غير حاصل بعد وفعل بالقياس الى وجودها وناعتيتها للحوض الموجود ولو كانت قوة
بالقياس الى الوجود مطلقا لكانت قوة محضا كالهيولى الاولى فهي معنى عدمي لانها
قوة بالاطلاق الا انها لا تكون معراة عن الصورة كلها ولو لم يكن صورة لم يكن
هيولى لانها محلولة للصورة مفتقرة اليها متقومة بها ونسبتها الى الصورة
نسبة النقص الى الكمال ونقص الشيء لا محالة يتقوم بذلك الشيء لانه تمامه وغايته و
بالجملة الهيولى الاولى حقيقتها انها قوة شيء وقوة على شيء والشيء الاول هي
الصورة التي يتقوم بها الهيولى لتقوم الامكان بالممكن والفقر بالفقير والشيء
الثاني هو الشيء الذي يقاس اليه الهيولى لكونها امكانا بالقياس اليه ويكونان
معا في التعقل معية المتضايفين ويتأخر عنها زمانا تأخر الفعل عن القوة
وسنزيدك في الايضاح ان شاء الله **الفصل الثاني** في القوة والفعل
القوة قد يقال لمبدأ التغير في شيء آخر من حيث هو آخر سواء كان فعلا او
انفعالا وقد يقال لما به يجوز ان يصدر عن الشيء فعل او انفعال وان لا يصدر و
الذي يقابل الفعل اعني الامكان الاستعدادي بالمعنى الذي سبق ذكره وقد يقال
لما به يكون الشيء غير متأثر غير مقاوم ويقابله الضعف ثم قوة المنفعل قد يكون

مهياة نحو القبول دون الحفظ كالماء وقد يكون قوة عليهما كالشمعة وقد يكون
قوة الشيء على امر واحد كقوة الفلك على الحركة الوضعية او امور معدودة او
امور غير متناهية كقوة الهيولى الاولى وكذا قوة الفاعل يجوز ان يكون محدودة
على امر واحد وقد يكون على امور كثيرة كقوة المختارين على ما يختارونه والقوة
الالهية على الكل واقول الضابط في القبيلين ان الشيء كلما كان اشد تحصيلا
كان اكثر فعلا واقل انفعالا وكلما كان اقل تحصيلا كان اكثر انفعالا واقل فعلا
فالواجب سبحانه لما كان في غاية التحصل وشدة الوجود كان فاعلا للكل وكانت
قوته وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى والهيولى لما كانت في ذاتها مبهمة غاية الابهام
في الوجود ولتعريها عن كافة الصور كانت فيه قوة جميع الاشياء لست اقول تمام
الاستعداد لكونه قوة قريبة مخصوصة لا يكون الا بسبب صورة مخصوصة
فلا استعداد للهيولى في ذاتها وانما يستعد لشيء لاجل لحوق صورة بها واعلم
ان القوة الفاعلية المحدودة اذا لاقت القوة الانفعالية المحدودة وجب
صدور الفعل منها والقوة الفعلية قد يسمى قدرة وهي اذا كانت مع شعور ومشية
سواء كان الفعل دائما من غير تخلف اولا والمتكلمون زعموا ان القدرة كيفية
اللازم تساوي الطرفين الفعل والترك فالفاعل الدايم الفعل التام الفاعلية لا
يسمونه قادرا والحق خلاف ما اعتقدوه فمن فعل بمشية فهو قادر مختار صادق

علي

عليه انه لو لم يشأ لم يفعل سواء اتفق عدم المشية او استحال وصدق الشرطية غير موقوف
على صدق طرفيها نعم ههنا فرق بين الفاعل بالقصد والفاعل بالعناية والفاعل
بالرضا والكل فاعل مختار وكذا الفرق ثابت بين الفاعل بالطبع والفاعل بالقسر
والفاعل بالتسخير والكل فاعل بالايجاب والجبر وقد حصلنا هذه الاقسام ومعانيها
في الاسفار الاربعة وههنا لا نطول الكلام بذكرها واعلم ان القوة الفعلية
قد يكون مبدأ الوجود وقد يكون مبدأ الحركة والالهيون من الحكماء يعنون
بالفاعل مبدأ الوجود ومفيده والطبيعيون يعنون به مبدأ الحركة والاحق
باسم الفاعل هو المعنى الاول لان مبدأ الحركة لا يخلو عن التجدد والتغير فهو محرك
متحرك حافظ متغير وان سلكت الحق فالحقيق باسم الفاعل من يطرد العدم بالكلية
عن الشيء ويزيل الشر والنقص اصلا وهو الباري جل ذكره لان فعله افاضة الوجود
وافادة الخير على الاطلاق بقدر احتمال كل موجود وتقدم الوجود العلي على الوجود
المعلولي عندنا التقدم بالحق وتقدم الوجود على المهية تقدم بالحقيقة وهما غير
التقدمات الخمسة المشهورة التي هي التقدم بالعلية والطبع والشرف و
الرتبة والزمان وغير التقدم بالمهية ايضا كتقدم اجزاء الحد كالجنس والفصل على
مهية المحدود وكذا تقدم المهية على لازمها واما القوى التي هي مبادي الحركات على
سبيل المباشرة فليست من شانها الا الاعداد وتهيئة المواد وتخصيص

الاجساد وتسميها بالاستعداد دون الافاضة والايجاد **تذكرة** اعلم انه ليس
من شرط الفعل ان يكون مسبوقا بالعدم كما توهمه المتكلمون الذاهبون الى ان
علة الحاجة الى الفاعل هو الحدوث دون الامكان الا ان يعنى بالفاعل
ما هو بمعنى احد المقولات التسع العرضية لا الفاعل بمعنى المفيض للوجود فلهذا
صح ان المعلول لا يفتقر الى الفاعل الا في الحدوث لا في البقاء اذ لا بقاء كما
سيأتي واما المتكلمون فما عنوا بقولهم هذا المعنى ولهذا صرحوا بان البارى
لو جاز عليه العدم لما ضر عدمه وجود العالم بعد ان صدر منه والحق عند المحقق
المحقق ان وجود المعلول وجود تعلقي فلا قوام له الا بوجود غيره وهو جاعله
المفيض اياه فليس تعلق المعلول الحادث بغيره من جهة مهيته لانها غير مجعولة
كما حققناه في موضعه ولا لاجل عدمه السابق عليه اذ لا صنع للفاعل فيه ولا
لكونه بعد العدم اذ هذا الوجود من ضرورياته انه بعد العدم والضرورى لا يكون بعلة
فاذن تعلق الحادث بعلته انما هو من حيث له وجود غير مستقل القوام لضعف
جوهره وقصوره ونقصه فهو يتقوم بوجود غيره ويتم به فوجود علته هو تمامه وكماله
وغايته وينتهي في سلسلة الافتقار الى ما هو تام الحقيقة في نفسه وبه تمام كل ناقص
وغاية كل ذي فاقة دفعا للدور والتسلسل فيكون البارى تاما وفوق التمام وكل تام
فهو فوق التمام لما عرفت ليس شان ليس في شانه فكل ما سواه مفتقر اليه والافتقار

الى

اليه تعالى كانه متوهم ذات غيره كما مرت الاشارة اليه من معنى الامكان في الوجودات
الفاقرة الذوات ولو كانت الحوادث تامة القوة على قبول الافاضة في هوياتها لكانت
موجودة دائما لكنها انما يتم امكاناتها واستعداداتها للوجود بتغيرات تعرض لها شيئا
بعد شيء فيتم بها قوتها على الوجود فاذا تمت قوتها وجدت بلا مهلة وتراخ فثبت
بما ذكرنا ان الفاعل ليس بالذات سببا للحدوث بل للوجود وهذا يصدق قول الحكماء
ان علة الحاجة الى العلة هي الامكان بالمعنى الذي ذكرنا في امكان الوجودات
تنبيه اكثر ما يظنونه فاعلا كالاب للاولاد والزارع للزرع والبناء للبيت
فليست هي عللا موجدة بالحقيقة لانها المعدات من جهة تسببها والمعطى
للوجود في الكل هو الله تعالى كما اشار اليه بقوله افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه
ام نحن الخالقون افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون افرايتم النار
التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون فاشار الى ان ما يسمونه
فاعلا ليس الا مباشر الحركات ومحرك المواد واما فاعل الصور فهو القيوم سبحانه
باستخدام بعض الملائكة المسخرين له والغلط فيما زعموه نشا من جهة اخذ ما بالعرض
مكان ما بالذات كما فصل في موضعه وقد برهن على ان جسما من الاجسام لا
يكون علة لجسم آخر اذ العلة يجب ان يكون متقدمة على معلولها بالذات و
الحقيقة لا بالزمان والحركة فالنار مثلا علة لتسخين عنصر الماء لا لانها تفيده

السخونة بل بان يبطل البرودة التي كانت مانعة من حصول السخونة فيه من جهة المبدا
الفياض ثم حدوث السخونة وانقلاب الماء الى النار فبالفاعل الذي يكسوا
العناصر صورها واما السوابق الزمانية وكل ما هو من باب الحركات والمتحركات
فهي معدات وعلل بالعرض والعلة ما له تقدم بالذات والحقيقة كما مر فكيف يكون
نار علة لوجود نار ولا نار افضل واحق بالتقدم بالعلية من نار اخرى **الفصل
الثالث** في الحركة والسكون الموجود اما بالفعل من كل وجه فيمتنع عليه
الخروج عما كان واما بالقوة من كل جهة وهذا غير متصور في الوجود الا لما كان له
فعلية القوة ومن شانه ان يتقوم باي شيء كان كالهيولى الاولى واما بالفعل
من جهة وبالقوة من جهة فلا محالة يكون ذاته مركبة من شيئين باحدهما بالفعل
وبالاخر بالقوة ولا من حيث كونه بالقوة ان يخرج الى الفعل بغيره والا لم يكن
بالقوة قوة وهذا الخروج اما بالتدريج او دفعة والاول معنى الحركة فهي فعل او كمال
اول للشيء الذي هو بالقوة من جهة ما هو بالقوة فالقوة للمتحرك بمنزلة الفصل
المقوم له ويقابله السكون تقابل العدم والملكة والحركة لكونها صفة لا بد لها من
قابل ولكونها حادثة بل حدوثا لا بد لها من فاعل ولا بد من ان يكونا متغايرين
لاستحالة كون الشيء فاعلا وقابلا فعلا وقبولا تجدديين وكون معطي الكمال قاصرا
عنه فالمحرك لا يحرك نفسه بل الشيء لا يكون في نفسه متحركا فيكون حركة بالقوة

والحار

والحار لا يسخن نفسه بل لامر يكون سخونته بالقوة فقابل الحركة امر بالقوة و
فاعلها امر بالفعل اما من تلك الجهة واما من كل جهة ولا محالة ينتهي جهات الفعل
الى ما هو بالفعل من كل وجه دفعا للدور او التسلسل كما ان جهات القوة يرجع
الى امر بالقوة من كل وجه الا كونه بالقوة دفعا لهما فثبت ان في الوجود طرفين
الباري جل ذكره والهيولى الاولى والاول خير محض وهذه شر محض الا في كونها بالقوة
وبه يمتاز عن العدم المحض ولكونها قوة جميع الموجودات يكون خيرا بالعرض
بخلاف العدم **تفريع** فمن ههنا ظهر ان كل جسم مؤلف من هيولى وصورة
لان الجسم بما هو جوهر ذو بعد امر بالفعل وبما هو قابل للحركة امر بالقوة وهما متغايران
فهناك كثرة **تنوير** كل بسيط الحقيقة يجب ان يكون جميع الاشياء بالفعل و
هذا امر عظيم غفل عنه جمهور العلماء الا من خصه الله بكونه محترما فلما كانت حقيقة
الهيولى هي القوة والاستعداد وحقيقة الصورة لها الحدوث التجددي كما سياتي
فللهيولى في كل آن صورة اخرى بالاستعداد ولكل صورة هيولى اخرى بالايجاب
لتقدم حقيقة الصورة على الهيولى بالاستلزام طبعا وتاخر هويتها الشخصية
عنها باللحوق الانفكاكي زمانا فلكل منهما تجدد ودوام بالاخرى لا على وجه
الدور المستحيل كما سيتبين بتحقيق مبحث التلازم بينهما والتشابه الصور في
الجسم البسيط فظن ان فيه صورة واحدة بالعدد لا على التجدد وليست كذلك بل

هي واحدة بالحد لا بالعدد لانها متجددة متعاقبة على نعت الاتصال لا بان
يكون متفاصلة متتالية الورود ليلزم تركب المقادير او الازمنة من غير المنقسمات
وستسمع لهذا زيادة تبصرة وتنوير **الفصل الرابع** في اثبات الطبيعة
لكل متحرك وانها حقيقة سيالة لما كانت الحركة معناها التجدد والانقضاء فينبغي
ان يكون علتها القريبة امرا غير ثابت الذات والا لم ينعدم اجزاء الحركة فلم يكن
الحركة حركة بل سكونا ولا التجدد تجددا بل قرارا فالفاعل المباشر لها ليس عقلا محضا
من غير واسطة لعدم تغيره ولا نفسا من حيث ذاتها العقلية بل ان كانت النفس
محركة فهي اما من حيث كونها في الجسم او من حيث تعلقها به فيكون اما طبيعة او في حكم
طبيعة ثم ان الحركة اما طبيعية او قسرية فان كانت الاولى فظاهر ان فاعلها (او ارادية)
الطبيعة وكذا ان كانت قسرية لان القاسر علة معدة للحركة ليس فاعلا لها والا
لزالت مع زواله وليس كذلك وايضا القواسر لا بد من انتهائها الى الطبايع كما
حقق واما الارادية فالنفس وان كانت يظن بها انها هي الفاعلة القريبة لكن
التحقيق انها لا تفعل الا من جهة كونها طبيعة نازلة او مستخدمة اياها او قواها
المادية ونحن نتيقن بالوجدان ان المميل للجسم والصارف له من مكان الى مكان
او من حالة الى حالة لا يكون الا قوة قائمة به وهي المسماة بالطبيعة فالمبدأ القريب
للحركة لا محالة قوة جوهرية قائمة بالجسم اذ الكيفيات والاعراض كلها تابعة

للصور

للصور المقومة وهي الطبيعة ولهذا عرفها الحكماء بانها مبدأ اول لحركة ما هي فيه
وسكونه بالذات لا بالعرض وقد برهنوا ايضا على ان كل ما يقبل الميل من خارج
فلا بد وان يكون فيه مبدأ ميل طباعي فثبت ان مبدأ اول الحركة مطلقا لا يكون الا
طبيعة وتقرر ان مباشر الحركة لا بد وان يكون امرا متجددا فالجوهر الصوري المسمى بالطبيعة
لا يخلو عنها جسم من الاجسام لكونها غير خالية عن حركة او سكون والساكن من شانه
الحركة ايضا وهو عند هؤلاء الفقراء امر سيال الذات متجددة الحقيقة ولو لم
يكن سيالا متجدد الحقيقة لم يمكن صدور الحركة عنه لاستحالة صدور المتجدد عن
الثابت والحكماء كالشيخ الرئيس واشباهه معترفون بان الطبيعة من جهة الثبات
لا يكون علة الحركة الا انهم قالوا لا بد من لحوق التغير لها من خارج كتجدد مراتب
قرب وبعد من الغاية المطلوبة في الحركات الطبيعية وكتجدد احوال اخرى في الحركات
القسرية وكتجدد الارادات المنبعثة عن النفس على حسب تجدد الدواعي الباعثة
للحركة اول ما ذكروه غير مجد فيه وذلك فان تجدد هذه الاحوال وتغيرها
ينتهي لا محالة الى الطبيعة لما قد علمت من انتهاء القاسر الى الطبيعة وقد علمت
ايضا ان النفس لا يكون مبدأ الحركة الا باستخدام الطبيعة فالتجددات كلها
منتهية الى الطبيعة معلولة لها فنقول تجددها من مبدأ يستدعي تجددها البتة
فان قلت انهم صححوا استناد المتغير كالحركة الى الثابت كالطبيعة على زعمهم

بان انبتوا في كل حركة سلسلتان احديهما سلسلة اصل الحركة والاخرى سلسلة
منتظمة من احوال متواردة فالثابت كالطبيعة مع كل شطر من احديهما علة لشطر من
الآخر وبالعكس لا على سبيل الدور المستحيل كما ذكروا في ربط الحادث بالقديم اقول من
هذا الوجه وان كان مذكورا في الشفاء وغيره وقبلته القلوب السليمة الا انه عند الا
يظهر قصوره وخلله فان الكلام في العلة الموجبة للحركة لا العلة المعدة لها ولا
في كل معلول من علة مقتضية نوض السلسلتين نعم المعول على وجود امور مخصصة
لاجزاء الحركة بان يقال الطبيعة بانضمام كل حال من حالات القرب والبعد وغيرها
علة لقطعة خاصة من الحركة ومع كل حركة خاصة علة لتجدد حالة مخصوصة اخرى ولا
شبهة في ان الحالة الاولى المخصصة لجزء من الحركة سابقة عليها بالزمان وهي سابقة
ايضا زمانا على الحالة الاخرى التي تخصصت بتلك الحركة فيكون كل منهما معدة
للاخرى اذ لو كانت كل منهما مقتضية للاخرى ومقتضى المقتضي مقتض فيلزم تقدم
الشيء على نفسه ولا مخلص عن هذا الا بان يدعى ان الطبيعة جوهر سيال انما ثباتها
حقيقتها المتجددة بين مادة شأنها القوة والزوال وفاعل محض شأنه الافاضة
والاكمال فلا يزال ينبعث عن الفاعل امر وينعدم في القابل ثم يجدد الفاعل ايراد
البدل على الاتصال وايضا من راجع الى وجدانه ونظر الى حال السلسلتين مع جميع
اجزائهما ولا محالة انهما متأخرتان في وجودهما معا عن وجود الطبيعة علم ان الكلام
و

في لحوقهما معا عايد انهما من اين حصلتا بعد ما كان الاصل ثابتا والاعراض تابعة
وهذا على قياس ما ذكر في البرهان المسمى بالوسط والطرفين على بطلان التسلسل وهو
انه اذا كان جميع آحاد السلسلة المفروضة ما سوى الطرف الاخير اوساطا من غير ان
يكون لها طرف اول لا يكون وسطا فمن اين حصلت تلك السلسلة فكذلك نقول
ههنا اذا لم يكن ههنا وجود امر شأنه التجدد والانقضاء فمن اين حصلت تانك
السلسلتان ومم حصل تجددهما فقد ظهر ان تجدد المتجددات مستندة الى امر
يكون جوهره وذاته متبدلا سيالة وهي الطبيعة لان الجواهر العقلية هي فوق
التغير والحدوث وكذا النفس من حيث ذاتها العقلية واما الاعراض فهي تابعة
في الوجود للجواهر الصورية **عقد وحل** لسائل ان يرجع ويقول اذا كان وجود كل
متجدد مسبوقا بوجود متجدد آخر يكون علة لتجدده فالكلام عايد في تجدد علته وهكذا الى
تجدد علة علته فيؤدي ما ذكرت اما الى التسلسل واما الى التغير في ذات البارئ تعالى
عن ذلك علوا كبيرا فنقول التجدد للشيء ان لم يكن صفة ذاتية له ففي تجدده يحتاج
الى مجدد وان كان صفة ذاتية لشيء فلا يحتاج ذلك الشيء الا الى جاعل يجعل ذاته لا
الى جاعل يجعلها متجددة اذ الذاتيات لا تعلل ولا شبهة ان في الوجود شيئا
حقيقته التجدد والسيلان وهو عندنا الطبيعة وعند القوم هي الزمان والحركة
ولكل شيء ثبات وفعلية ما وانما الفائض من الجاعل الحق على كل شيء ثباته وفعليته

فاذا كان ثبات الشي ثبات تجدده وفعليته فعلية قوته فلا محالة يكون الفائض من
الحق عليه ثبات تجدده كالطبيعة وفعلية قوته كالهيولى الاولى فتجدد الطبيعة
عين ثباتها كما ان قوة الهيولى فعليتها فالطبيعة بما هي ثابتة مرتبطة الى
الحق وبما هي متجددة يرتبط اليها تجدد المتجددات وحدوث الحادثات كما ان
الهيولى بما هي لها فعلية وان كانت فعلية القوة صدرت عن المبدأ الفعال
على سنة الابداع وبما هي قوة وامكان استعداد يستصح بها الحدوث و
الانقضاء والدثور والفناء وهذان الجوهران بدثورهما وتجددهما واسطتان
في الحدوث والزوال للامور الجسمانية وبهما يحصل الارتباط بين القديم و
الحادث وتنحسم مادة الشبهة المشهورة التي اعيت الفضلاء في حلها تحقيق و
تحصيل فان قلت هذا اصل قول لم يقل به احد من الحكماء فان الامر المتجدد
بالذات عندهم منحصر في الحركة والزمان واختلفوا في ان اي واحد منهما كذلك
بالذات فالجمهور على ان تجدد صفة الزمان والحركة تابعة له في عدم قرار الذات
وذهب صاحب الاشراق الى العكس واما كون الطبيعة جوهرا غير ثابت الذات
فلم يقل به احد قلنا اعلم اولا ان المتبوع هو الزمان وقد مر ان الحركة عبارة عن
خروج الشي من القوة الى الفعل تدريجا وهو معنى نسبي والامور النسبية والاضافية
تجددها وثباتها تابعان لتجدد ما نسبت هي اليه وثباته سيما اذا كان مفهومها

عين

عين الانقضاء والتجدد فههنا تجدد وشي متجدد في ذاته فالاول هو معنى الحركة
والثاني هو المتحرك في ذاته وكذا ههنا حدوث وشي حادث في نفسه وكذا خروج
الشي من القوة الى الفعل معناه غير معنى الشي الخارج من القوة الى الفعل وكما ان في
الابيض امورا ثلثة ابيضية وهو معنى نسبي وجوده في العقل لكنه ينتزع من موضوع
خارجي وبهذا الاعتبار ينسب الى الخارج وما به الابيضية اعني الابيض لذاته
وهو الكيفية المحسوسة المفرقة للبصر لذاته وشي ذو بياض وهو الجسم فكذلك
فيما نحن فيه فالخروج التجددي من القوة الى الفعل وهو معنى نفس الحركة وجودها في
الذهن بحسب الخارج واما ما به الخروج منها اليه فهي الطبيعة واما القابل للخروج
فهي المادة واما المخرج فهو جوهر آخر ملكي او فلكي واما قدر الخروج فهو الزمان فان
حقيقته كمية الامتداد التجددي والانقضاء وليس وجوده وجودا مغايرا لما
يتقدر به على قياس الجسم التعليمي بالنسبة الى الجسم الطبيعي حيث انه ليس له
امتداد سوى امتداد الجسمية كما حقق ان الفرق بينهما بالتعين الامتدادي
واللاتعين ولكن يتعب القدم راسخا في هذا المقصد فان لم يكن قد اغناك ما
ذكرناك فاستمع زيادة برهان عرشي اعلم ان الطبيعة اذا اوجدت في الجسم
فليست تفيد شيئا فيه لذاتها ولا بواسطة مثل ضرب اليها او حالة اخرى
لها لانها لو كانت فاعلة لشي في جسمها لكان لها فعل من دون وساطة الجسم و

الثاني باطل والا لم يكن قوة جسمانية والمفروض انها جسمانية لما تقرر عندهم ان
القوى والطبايع المادية لا تفعل شيئا الا بمشاركة الوضع وبرهانه ان الايجاد
متقوم بالوجود اذ الشيء ما لم يوجد لم يتصور كونه موجدا فكونه موجدا فرع كونه
موجودا فالشيء اذا كان نحو وجوده متقوما بالمادة فكذلك نحو ايجاده متقوم بالمادة
والمادة وجودها وجود وضعي فلو كان للقوى المادية فعل بدون مشاركة
المادة بوضعها الخاص لكان المستغني عن المادة في الفاعلية مستغنيا عنها في
الوجود فلم يكن وجودها وجودها وضعيا هذا خلف واما بيان الملازمة فلانه
لا وضع للمادة بالقياس الى المادة نفسها ولا بالقياس الى ما وجد في نفسها
فكل ما يفعل المادة او يفعل شيئا في مادة فيمتنع ان يكون وجودها في تلك المادة
فالطبيعة الجسمانية يمتنع ان يكون لها فعل في مادتها والا لتقدمت المادة
الشخصية على نفسها هذا محال فاذن جميع الصفات الطبيعية كالحركة وغيرها
يجب ان يكون وجودها من لوازم وجود الطبيعة من غير تخلل جعل بين الطبيعة
وبينها فلا بد وان يكون في الوجود مبدا اعلى من الطبيعة يفعل الطبيعة و
لوازمها فيكون الطبيعة وآثارها الذاتية كالحركة للفلك معين في الوجود
والحدوث والبقاء غاية الامر ان فيض الوجود يمر من المبدا الاعلى الطبيعة
اولا وبواسطتها على صفاتها الذاتية فالاوضاع المتجددة للفلك تجددها

تابع

تابع لتجدد الطبيعة الفلكية وكذا الاستحالات الطبيعية والحركات الكمية الطبيعية
التي في العنصريات البسائط والمركبات **برهان آخر مشرقي** كل جوهر جسماني له
نحو وجود يستلزم لعوارض مستحيلة الانفكاك عنه نسبتها الى الشخص نسبة لوازم
الفصول الاشتقاقية الى الانواع وتلك تسمى بالمشخصات عند الجمهور والحق انها
علامات للتشخص ومعنى العلامة ههنا العنوان للشيء الذي يعبر بمفهومه عن ذلك الشيء
كما يعبر عن الفصل الحقيقي بالفصل المنطقي كالحساس في الحيوان والناطق للانسان
هما فصلان منطقيان والاول عنوان للفصل الاشتقاقي للحيوان وهو نفسه
الحساسة والثاني عنوان للجوهر النطقي وهو الفصل الاشتقاقي للانسان وكذا
حكم ساير الفصول في المركبات الجوهرية فان كلا منها جوهر بسيط يعبر عنه بالفصول
المنطقية من باب تسمية الشيء باسم لازمه الذاتي لانها في الحقيقة وجودات محضة
لا ماهية لها وعلى هذا القياس لوازم التشخص في تسميتها بالمشخص فان التشخص في
الحقيقة نحو من الوجود ولازم للمتشخص بنفسه وتلك اللوازم منبعثة عنه انبعاث
الضوء من المضيء والحرارة من النار فاذا تقرر هذا فنقول كل شخص جسماني
يتبدل عليه هذه المشخصات كلا او بعضا كالزمان والوضع والكم والاين و
غيرها فتبدلها تابع لتبدل الوجود بل عينه بوجه فان وجود الطبيعة الجسمانية
يحمل عليه بالذات انه الجوهر المتصل الوضعي المتكمم الزماني المتجدد لذاته فتبدل

الاوضاع والازمنة والاين والمقادير يوجب تبدل الوجود الشخصي للجوهر
الجسماني وهذا هو الحركة في الجوهر الشخصي اذ وجود الجوهر جوهر كما ان وجود العرض
عرض **تنبيه تمثيلي** ان كل شخص جوهري له طبيعة سيالة متجددة وله ايضا امر
ثابت مستمر نسبته اليها نسبة الروح الى الجسد فان الروح الانساني لتجرده باق و
طبيعة البدن ابدا في التجدد والسيلان والذوبان وانما هو متجدد الذات الباقية
بورود الامثال والخلق لفي غفلة عنه بل هم في لبس من خلق جديد وكذلك حال
الصور الطبيعية فانها متجددة من حيث وجودها المادي الوضعي الزماني فلها كون
تدريجي متبدل غير مستقر الذات ومن حيث وجودها وصورتها المفارقة الافلاطونية
باقية ازلا وابدا في علم الله فالاول وجود دثوري بائد داثر لا قرار له والثاني وجود
ثابت عند الله غير داثر لاستحالة ان يزول شيء من الاشياء او يتغير علمه تعالى ان
في هذا البلاغا لقوم عابدين **الفصل الخامس** في تاكيد القول بتجدد الجواهر
الطبيعية المقومة للاجرام السماوية والارضية اما قولك فيما سبق ان هذا احداث
مذهب لم يقل به احد من الحكماء فهو كذب وظلم فان اول حكيم قال به في كتابه هو الله
سبحانه وهو اصدق الحكماء فانه قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
وقال بل هم في لبس من خلق جديد وقال في غير موضع من كتابه الكريم خلق السموات و
الارض وما بينهما في ستة ايام وهو ستة آلاف سنة من زمن آدم ابو البشر الى

زمن

زمن نزول القران على محمد صلى الله عليه وآله لان كل يوم من هذه الايام الربوبية
كالف سنة وذلك لان كل ما هو تدريجي الوجود فزمان حدوثه بعينه زمان بقائه
تدريجا وهذا سر عظيم من اسرار التنزيل ومما يشير الى تبدل الطبيعة قوله سبحانه يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وبرزوا لله الواحد القهار وقوله
كل يوم هو في شان وقوله ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وقوله كل الينا راجعون
وقوله والسموات مطويات بيمينه وقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك
كدحا فملاقيه وقوله على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله يوم
يبعثكم الله جميعا وآيات كثيرة في هذا المعنى تشير الى ثبوت الحركة الجوهرية في
الاجسام السماوية والارضية وكذا في سنة نبينا صلى الله عليه وآله يوجد
احاديث كثيرة يدل على تجدد الجواهر الطبيعية تصريحا وتلويحا وكذا في كلمات
الاوائل تصريحا بما ذكرنا فلقد قال المعلم الاول للفلسفة اليونانية في
كتاب اثولوجيا يعني معرفة الربوبية ان كانت النفس جرما من الاجرام او غير جرم
الاجرام لكانت متعضية سيالة لا محالة لانها تسيل سيلانا يصير الاشياء
كلها الى الهيولى فاذا ردت الاشياء كلها الى الهيولى ولم يكن للهيولى صورة
يصورها وهي علتها بطل الكون فيبطل العالم ايضا اذا كان جرما محضا وهذا
محال وقال في موضع آخر منه انه لا يمكن ان يكون جرم من الاجرام ثابتا قائما

بسوطا كان او مركبا اذا كانت القوة النفسانية غير موجودة فيه ذلك لان من
طبيعة الجرم السيلان والفنا فلو كان العالم كله جرما لا نفس فيه ولا حيوة لباد
الاشيا وهلكت هذه صورة عبارته وهي ناصة على ان الطبيعة الجسمانية عنده
جوهر سيال ومما يدل على ذلك راي زينون الاكبر وهو من اعاظم الفلاسفة الاكابر
في العالم الجسماني حيث قال ان الموجودات باقية داثرة اما بقاوها فبتجدد صورها
واما دثورها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الاخرى وذكر ان الدثور قد لزم الصورة
والهيولى انتهى وهذا بعينه كما اشرنا اليه في باب تقدم اشخاص كل من الهيولى
والصورة على الاخرى بوجه وسننقل اقوال اساطين الحكماء الدالة على تجدد طبايع
الاجسام ودثورها وزوالها وحدوث العالم وعدم بقائه في آخر هذه الرسالة
وكتب العرفاء ولنذكر هذا المقصد قال الشيخ محي الدين محمد الاعرابي
قدس سره في فصوص الحكم ومن اعجب الامور ان الانسان في الترقي دايما وهو لا يشعر بذلك
للطافة الحجاب ورقته وتشابه الصور مثل قوله تعالى واتوا به متشابها وقال ايضا
في الباب السابع والستين ومائة من الفتوحات المكية في كلام طويل طوينا ذكره
فالوجود كله متحرك على الدوام دنيا وآخرة لان التكوين لا يكون الا عن متكون
فمن الله توجهات دايمة وكلمات لا تنفد وهو قوله وما عند الله باق فعند الله التوجه
وهو قوله اذا اردناه وكلمة الحضرة وهي قوله لكل شي كن بالمعنى الذي يليق بجلاله

ولكن

ولكن حرف وجودي فلا يكون عنه الا الوجود لان العدم لا يكون والكون وجود ومن
التوجهات والكلمات هي خزائن الجود ولكل شي يقبل الوجود قال وان من شي الا
عندنا خزائنه وهو ما ذكرناه وما ننزله الا بقدر معلوم من اسمه الحكيم فالحكمة سلطان
هذا الانزال الالهي وهو اخراج هذه الاشياء من هذه الخزاين الى وجود اعيانها ثم قال
بعد كلام طويناه فبالنظر الى اعيانها هي موجودة عن عدم وبالنظر الى كونها عند الله
في هذه الخزاين ثم قال واما قوله ما عندكم ينفد صحيح في العلم لان الخطاب ههنا لعين
الجوهر والذي عنده اعني عند الجوهر من كل موجود انما هو ما يوجده الله في محله من الصفات
والاعراض والاكوان وهي في الزمان الثاني او في المحل الثاني كيف شئت من
زمان وجودها وحال وجودها ينعدم من عندنا وهو قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق
وهو يجدد للجوهر الامثال او الاضداد دايما من هذه الخزاين وهذا معنى قول المتكلمين
العرض لا يبقى زمانين وهو قول صحيح حق لا شبهة فيه لانه الامر المحقق الذي عليه نعوت
الممكنات قال واما صاحب النظر فما عنده خبر بشي من هذا لانه تجلية نبوية لا نظر فكري
وصاحب النظر مقيد تحت سلطان فكره وليس للفكر فيه مجال انتهى وقال ايضا في
الباب السابع والستين وثلثمائة يحكي فيه من عروج وقع له بحسب الباطن حين جمع طيته
مع ادريس النبي عليه السلام بهذه العبارة قلت اني رايت في واقعتي شخصا بالطواف
اخبرني انه من اجدادي وسمى لي نفسه فسالته عن زمان موته فقال اربعون الف سنة

فسألته عن آدم لما انقرر عند نا في التاريخ لمدة فقال عن اي آدم تسأل قلت عن آدم
الاقرب فقال صدق ابن بنت الله ولا ادري للعالم مدة تقف عليها بجملتها الا انها بالجملة لم
يزل خالقا ولا يزال دنيا وآخرة والآجال في المخلوق بانتهاء المدد لا في الخلق فالخلق
مع الانفاس يتجدد فما اعلمناه علمناه لا كيطون لبشر من علم الابحاث فقلت له
فما بقي لظهور الساعة فقال اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون فقلت عرفني بشرط من شروط اقترابها فقال وجود آدم من شروط الساعة
فقلت هل قبل الدنيا دار غيرها قال دار الوجود واحدة والدار ما كانت دنيا و لا
آخرة الا بكم والآخرة ما تميزت الا بكم وانما الامر في الاجسام اكوان واستحالات
واتيان وذهاب لم يزل و لا يزال وتعلم بهمنيار في التحصيل ان قوما ظنوا ان
الحركة هي الطبيعة اعني جوهر الشيء الصوري والحق انه ليس الامر كما ظنوا بل هي
متحركية الطبيعة وحالها لا نفسها اقول وهو بعينه كما ذكرناه سابقا من ان
الحركة هي نفس خروج الشيء من القوة الى الفعل لا ما به يخرج الشيء منها اليه ثم ان الحكماء
قد صرحوا بان الشيء وليس سوادا اشتد بل اشتداد الموضع في سواديته فليس في
الموضع سوادان سواد اصل يستمر وسواد زايد عليه لاستحالة اجتماع المثلين في
موضع واحد بل يكون في كل آن مبلغ آخر فيكون حد الزيادة المتصلة هي الحركة
الى السواد عند الاشتداد يخرج من نوع الاول ويدخل في نوع الثاني قالوا فعلم ان النفس

ليس

ليست بمزاج لانها باقية والمزاج ابدا سيال متجدد وفيما بين كل طرفين انواع بلا نهاية
بالقوة ومعنى كونها بالقوة ان كل نوع من انواع غير متميز عما يليه بالفعل كما ان
الحدود والنقط في المسافة الا انها غير متميزة بالفعل وكل انسان يشعر من ذاته
امرا واحدا بالتشخص غير متميز وان كان واحدا بالاتصال الى انقضاء العمر حكمة
مشرقية اعلم ان السواد مثلا من اول الاشتداد الى غاية ما له تشخصية واحدة (ووحدة هم)
اتصالية وفي كل آن مفروض معنى نوعي آخر لان مراتب الاشتداد لمراتب
السوادات والحرارات انواع متخالفة عند المشائين فعلى اعترافهم يلزم منها
احكام ثلثة الاول انه لما كان عند الاشتداد حصول انواع غير متناهية موجودة
بوجود واحد اتصالي فقد ثبت وتحقق ان الوجود امر متحقق في الخارج غير المهية
بحسب الاعتبار فالاصل في المتحققية هو الوجود والمهية ينتزع منه متحدة
معه بانحاء الاتحاد كاتحاد الظل بالاصل ولو كانت المهية موجودة والوجود امرا
ذهنيا انتزاعيا كما تصوره الجمهور لزم في صورة الاشتداد وجود انواع بلا نهاية
بالفعل محصورة بين حاصرين ويلزم ايضا مفاسد الجزء الذي لا يتجزى كما يظهر
بالتامل والثاني ان في حالة الاشتداد هوية واحدة شخصية اتصالية
ومع وحدتها وتشخصها يندرج تحت انواع كثيرة ويتبدل عليه معاني ذاتية
وفصول منطقية بحسب تبدل الوجود بكماليته ونقصيته وهذا ضرب من

من الانقلاب في الحقيقة وهو جايز لان الوجود كما مر اصل والمهية تبع له الثالث
ان هذا الوجود الاشتدادي مع وحدته واستمراره فهو بعينه وجود متجدد منقسم الى
سابق ولاحق وناقص وكامل وله بعينه ابعاض وافراد بعضها زايل وبعضها حادث
وبعضها آت ولكل من ابعاضه المنفصلة حدوث في وقت معين وعدم في غير
ذلك الوقت قبله وبعده وليس اشتماله على ابعاضه كاشتمال المقادير على غير
المنقسمات عند القائلين بها لاستحالته بالقواطع البرهانية بل ذلك الوجود
المستمر هو بعينه الوجود المتصل الغير القار وهو بعينه ايضا كل من ابعاضه فله وحدة
سارية في الاعداد لانها وحدة جامعة فان قلنا انه واحد صدقنا وان قلنا
انه متعدد صدقنا وان قلنا انه باق من اوله الى آخره صدقنا وان
قلنا انه حادث في كل حين صدقنا وان قلنا انه تمام موجود صدقنا وان قلنا
انه معدوم صدقنا فما اعجب مثل هذا الوجود وتجدده في كل حين والناس في
ذهول عن هذا مع تجددهم في كل حين لان ادراكه يحتاج الى قريحة صافية وبصيرة
نيرة ترى بنورها كون ما هو الباقي وما هو متجدد واحدا بعينه **تفريع عرشي** فمن هيهنا
يعلم ان الوجود الواحد قد يكون له شئون واطوار ذاتية كما يكون له كمالية ونقص
فان الواحد بالاتصال واحد بالتشخص والوجود والقائلون بالاشتداد الكيفي
من الحكماء قائلون بان الحركة الواحدة امر شخصي في مسافة شخصية لموضوع شخصي واستدلوا

على

عليه بان الكون في الوسط الواقع من فاعل شخصي في قابل شخصي بين مبدا ومنتهى معينين ليس
كونا مبهما جنسيا ولا نوعيا بل حالة شخصية يتعين بفاعلها وقابلها وساير ما
يكتنفها وكذا المرسوم منه يكون واحدا متصلا لا جزء له بالفعل بوصف الجزئية
وانما له حدود بالقوة كحدود المسافة فنقول اذا جاز وثبت في نحو الكم و
الكيف وغيرهما انواع بلا نهاية بين طرفيها بالقوة مع كون الوجود المتجدد
له امرا شخصيا من باب الكم والكيف فلذلك في الجوهر الصوري يمكن اشتداده
واستكماله في ذاته بحيث يكون له وجود واحد شخصي مستمر متفاوت الحصول في
مع تشخصيته ووحدته ينتزع منه في كل آن نوع مفروض بالقوة واما ما ذكره
الشيخ الرئيس وغيره في نفي الاشتداد في الجوهر من قولهم لو وقع حركة في الجوهر واشتداد
وتضعف وازدياد وتنقص فاما ان يبقى نوعه في وسط الاشتداد والتضعف مثلا
او لا يبقى فان كان يبقى نوعه فما تغيرت صورته الجوهرية في ذاتها بل انما تغيرت في
عارض فيكون استحالة لا تكونا وان كان الجوهر لا يبقى مع الاشتداد مثلا فكان
الاشتداد قد احدث جوهرا آخر ويكون بين جوهر وجوهر آخر امكان انواع جواهر
غير متناهية بالفعل وهذا محال في الجوهر وانما جاز في السواد والحرارة حيث كان
امر موجود بالفعل اعني الجسم واما في الجوهر الجسماني فلا يصح هذا اذ لا يكون هناك
امر بالفعل حتى فرض في الجوهر حركة انتهى ففيه تحكم ومغالطة منشاؤها الخلط بين المهية

وكذا في كل آن بالعرض
الاشتداد يكتسب
جوهر آخر
صح

والوجود والاشتباه بين اخذ ما بالقوة مكان ما بالفعل فقولهم اما ان يبقى نوعه
فى وسط الاشتداد ان اريد به وجود نوعه فنختار انه باق لان الوجود المتصل التدريجى
امر واحد زمانى والاشتداد كمالية فى ذلك الوجود والتنقص بخلافهما وان اريد
به ان المعنى النوعى الذى قد كان منتزعا من وجوده اولا قد بقى وجوده بالصفة المذكورة
التى له فى ذاته فنختار انه غير باق بتلك الصفة ولا يلزم منه حدوث جوهر آخر وجوده
بل حدوث صفة ذاتية له بالقوة من جهة كمالية له فى اشتداده الوجودى او من
جهة تنقص له فى تضعف الوجودى ولم يلزم ايضا وجود انواع بلا نهاية بالفعل
بل هناك وجود شخصى واحد متصل له حدود غير متناهية بالقوة بحسب حدود مفروضة
فيه ففيه وجود انواع بلا نهاية بالقوة لا بالفعل و بالمعنى لا بالوجود ولا فرق بين
الاشتداد الجوهرى المسمى بالتكون وبين الاشتداد الكيفى المسمى بالاستحالة فى
كونهما جميعا استكمالا تدريجيا فى نحو وجود الشئ سواء كان الحركة فى الجوهر
او فى الكيف فدعوى الفرق بان احدهما مستحيل والآخر ممكن تحكم محض بلا برهان
فان الاصل فى كل شئ هو وجوده والماهية تبع له وليس لها ثبوت وتقرر الا
بالعرض كما حققناه فى الاسفار الاربعة وفى الشواهد الربوبية بما لا مزيد عليه ولا
مرية فيه ومن كان الوجود عنده امرا ذهنيا من المعقولات الثانية وانما الواقع
فى الاعيان عنده نفس الماهية بافادة الجاعل اياها يلزم من كل اشتداد سواء كان
فى الكيف او فى الجوهر وجود انواع غير متناهية بالفعل محصورة بين حاصرين ثم ان
موضوع الحركة وان وجب ان يكون باقيا بوجوده وتشخصه الا انه يكفى فى تشخص
المادة وجود صورة ما وكيفية ما وكمية ما ويجوز التبدل فى خصوصيات كل منها
او لا ترى ان تبدل الصورة على مادة واحدة يكون وحدتها مستفادة من واحد
بالعموم وهى صورة ما وواحد بالعدد وهو جوهر مفارق عقلى كما جوّزه الشيخ
الرئيس وغيره من الحكماء وصرحوا بان العقل غير منقبض عن استناد وجود المادة
المستبقاة فى كل آن الى صورة اخرى بدل الاولى مع انحفاظ تشخصها المستمر
بصورة ما لا بعينها واستناد كل صورة شخصية بعينها اليها والعبارة المنقولة
من زينون الاكبر صريحة فى تجدد المادة والصورة كليهما مع بقاء ذات الجسم و
هويته الشخصية فيما له وحدة طبيعية مستمرة منحفظة بوحدة عقلية باطنية
فان لم يسم مثل هذا التبدل حركة لضعف وحدة الموضوع ونقص جوهره الجسمانى
فلا مضايقة فى الاسامى بعد ظهور المعنى اذ ليس غرضنا الآن الا اثبات التبدل
التدريجى فى الجواهر الصورية فان لم يسم هذا حركة اذا اشترط كون موضوع الحركة
ثابت الصورة على حد واحد بالفعل كان مجرد اصطلاح كيف ومن جوز تبدل
صورة الشئ وذاته فقد وضع ان ههنا موضوعا غير مستقر الذات ولا ثابت
الوجود على حد خاص من مراتب تأكد الوجود وضعفه غاية الامر انه يجب ان يكون

ذاته متحصل القوام من جوهرين بينهما تركيب اتحادي في الوجود كما بين الجنس و
الفصل في النوع عند الحكماء لابهام احدهما وتحصل الاخر وكما بين المادة و
الصورة عند بعض لكون احدهما بالقوة والاخر بالفعل ومن اضرب آخر من
الاتحاد بين الصورة الطبيعية والصورة الفعلية فلكل صورة طبيعية
تشخص مستمر هو روح حقيقتها وتشخص متبدل هي انحاء حصولاتها واحاد تعيناتها
مثل الحركة والزمان وساير الامور التدريجية كما مر وبهذا ايضا ينحل اشكال
الحركة الكمية التي اضطرب المتاخرون في حله وفي كيفية بقاء الموضوع فيها
ولصعوبة هذا الاشكال انكر صاحب الاشراق ومتابعوه وجود الحركة الكمية
مطلقا حيث قالوا اضافة مقدار الى مقدار يوجب انعدامه وانفصاله من
المتصل يوجب انعدامه لان وجود الكل غير وجود جزئه ولان الجسم عند منكري الهيولى
الاولى ينعدم بالفصل والوصل بين اجزائه ويحدث آخر مثله فالموضوع لهذه
الحركة غير باق ووجه الانحلال لهذا الاشكال ان موضوع هذه الحركة هي المادة
مع مقدار ما واتصال ما وبهما يحفظ وحدته ويبقى تشخصيته واما ما في الحركة
فهي خصوصيات المقادير ومراتبها والفصل والوصل لا يعدمان الا نفس
المقدار المتصل الماخوذ بلا مادة بحسب الوهم لا الجسم المتقوم بمادة وصورة
ولهذا اوجبوا اثبات المادة فيما حكموا ابقاء التشخص بعد ورود الانفصال و

الاتصال

والاتصال كما الجرة اذا انقسم في الكيزان ومياه الكيزان اذا اجتمعت واتصلت
في الجرة الواحدة **قاعدة عرشية** اعلم ان كل ما يتقوم ذاته من عدة معان
فله تمامية بما هو كالفصل الاخير فتعينه محفوظ بتعين ما هو له كالفصل الاخير
وباقي المقومات من الاجناس والفصول البعيدة ليست معتبرة فيه على سبيل
الخصوص فتبدلها لا يقدح في بقاء ذاته فالاتصال وقبول الابعاد مثلا فصل
للجسم بما هو جسم بالمعنى الذي هو بمادة وهو في ذاته نوع براسه وله تمامية هي
كونه متصلا فتبدله يوجب تبدل الجسم وكذلك النامي فصل للجسم النامي وبه تمامية
ذاته وليس تماميته بالجسمية فلا جرم تبدل افراد الجسمية لا يوجب تبدل ذاته
لانها معتبرة فيه على وجه العموم والاطلاق لا على وجه الخصوص والتقييد وكذا
الحال في كل ما يتقوم وجوده من مادة وصورة فالنامي اذا تبدلت عليه المقادير
او اتصل بجسم غذائي او انفصل عنه جزء مقداري فعند ذلك يتبدل جسميته
بتشخصها ولا يتبدل ذاته وجوهره النامي بشخصه فهو بما هو جسم شخص من افراد
الجسم المطلق او من افراد الجسم بالمعنى الذي يقال انه جزء مادي للجسم المركب منه و
من غيره اي الجسم بشرط لا شيء قد انعدم عند النمو والذبول وهو بما هو جسم شخص
من افراد الجسم النامي لم ينعدم لا هو ولا جزؤه لان ما هو جزؤه ليس الا مطلق
الجسمية واي فرد تحققت وعلى هذا القياس حكم بقاء الحيوان ما دام بقاء الجوهر

الحساس فيه ان نفس الحساسة وان تبدل عنه الجوهر النامي فاذا احكمت وتقررت
هذه القاعدة لديك فقد علمت ان جوهريات الاشياء الواقعة في عالم الكون
وهو جملة عالم الاجسام مما يجوز عليها التغير والدثور لعدما كان متحفظا فيها شيء
كالاصل والعمود وهو الذي يعبر عنه بالفصل الاخير في الطبايع المركبة التي والتحقيق
ان تمامية كل ما يتقوم ذاته من عدة معان بفصله الاخير بل وجود هذا الفصل للشيء
بعينه متضمن لجميع المعاني التي ثبتت في تلك الحقايق المسماة بذاتيات هذا الشيء
منفصلة فهو في فصيلة الوجود يوجد فيه مجتمعة كل ما يوجد فيها متفرقة لان هذا
تمام تلك الامور وتمام الشيء مشتمل عليه مع امر زايد ونحن لما حكمنا بوجود الحركة
الذاتية في جميع الطبايع الجسمانية ببراهين ذكرناها فلاجرم حكمنا بان الفصل
لكل طبيعة فلكية او عنصرية جوهرا عقليا ثابتا ابد الدهر كالاصل وجوهرا متجددا
الوجود ونسبة ذلك الجوهر العقلي الى هذه الطبيعة الجسمانية كنسبة التمام الى
النقص وكنسبة الاصل الى الفرع وكنسبة الفصل القريب الى الفصل البعيد و
الله تعالى اقرب الينا من كل قريب وتلك الجواهر العقلية بمنزلة اضواء واشعة
للنور الاول الاحدي لانها صور ما في علم الله وليست لها وجودات استقلالية
لانفسها وانما هي وجودات متعلقات الذوات بالحق الاول امثال تلك الصور
العلمية التي لنا او لا ترى ان المحسوس بما هو محسوس وجوده في نفسه هو بعينه وجوده

للجوهر

للجوهر الحاس وكذا المعقول بما هو معقول وجوده في ذاته هو هو بعينه وجوده للعاقل
واما في الامور التي هي معقولات بالفعل لا حاجة في ذلك الحكم الى التقييد بهذه
الحيثية وهذا امر محقق عند الحكماء الراسخين والعرفاء الكاملين وان استتر
عن طبايع القاصرين **تحصيل** فالحق ان الحركة كما يجوز في الكم والكيف و
الوضع يجوز ايضا في الصور الجسمانية وكما ان كلا من هذه الاعراض المسماة بالمشخصات
معتبرة في بقاء الجسم الشخصي على وجه غير معتبرة فيه على وجه او البقاء من كل منها في
موضع الحركة قدر مشترك ما بين طرفين والمتبدل هو خصوصيات كل منها من الحدود
المعينة فكذا الحال في الجوهر الصوري وكما ان للسواد عند اشتداده فردا شخصيا
زمانيا مستمرا متصلا بين المبدا والمنتهى وله حدود مخصوصة غير متناهية بالقوة
متخالفة بالمعنى والماهية عند المشائين فكذلك للجوهر الصوري عند استكماله
التدريجي كون واحد زماني مستمر متصل وله حدود وكذلك والبرهان على بقاء الشخص
هيهنا كالبرهان على بقاء الشخص هناك فان كلا منهما متصل واحد زماني والمتصل
الواحد له وجود واحد والوجود عين الهوية الشخصية عندنا وعند غيرنا ممن له قدم
راسخ في الحكمة ولو لم يكن الحركة متصلة واحدة كان الحكم بان السواد في اشتداده
غير باق حقا وكذا في الصورة الجوهرية عند استكماله وليس الامر كذلك والترقية كما
مر ان الوجود الخاص لكل شيء هو الاصل وهو متعين بذاته وقد يكون ذا مقامات ودرجات

بجمعها بهوية ووحدة وله كسب كل مقام ودرجة صفات ذاتية كلية فاتفقت له
مع وحدة معان مختلفة منتزعة عنه متحدة معه ضربا من الاتحاد باعتبار تطوره في
الاطوار ولعل في الكلام ما قد خرج من طور هذه الافهام ويحتاج الانسان الى
فطرة ثانية لنيل هذا المقام والله ولي الفضل والانعام **الفصل السادس**
في ان الفاعل المباشر لجميع الحركات هي الطبيعة اما الحركات الطبيعية فظاهر ان
الفاعل المباشر لها هي الطبائع الخاصة للاجرام وان كان يتبرك من الفاعل المفارق
فيها كما اشرنا اليه فان الجوهر المفارق المقوم للصور الجوهرية كما انه يتمم كلا من المادة
والصورة بالاخرى او معها كما ثبت عندهم في مباحث التلازم بين الهيولى و
الصورة فكذلك هو يحركها اياه و[illegible] كل ما يلزمها من الاستحالات والحركات
وغيرها واما الحركات القسرية ففاعلها ايضا طبيعة مشروطة بقسر قاسر واما الحركات
الارادية ففاعلها النفس باستخدام الطبيعة السارية في الجسم فهي المميلة القريبة
اياه فالفاعل في الاولى طبيعة مطلقة مجبولة وفي الثانية طبيعة مقسورة وفي الثالثة
طبيعة مسخرة والكل ما يستخدمها القوة العقلية المفارقة مطاعة لله تعالى
تفريع فالحركة بمنزلة شخص روح الطبيعة كما ان الزمان شخص روح الدهر والطبيعة
بالقياس الى النفس بل العقل كالشعاع من الشمس يتشخص بتشخصها **بحث و**
تحصيل ولعلك تقول لو كانت الطبيعة محركة للاعضاء خلاف ما

يوجبه

يوجبه ذاتها طاعة للنفس لوجب ان لا يحدث اعياء عند تكليف النفس اياها
خلاف مقتضاها ولما تجاذب مقتضى النفس ومقتضى الطبيعة عند الرعشة فاعلم
وتيقن ان الطبيعة التي هي قوة من قوى النفس التي يفعل بتوسطها بعض الافاعيل
هي غير الطبيعة الموجودة في عناصر البدن واشباهها بالعدد فان تسخر النفس للاولى
ذاتي لانها قوة منبعثة عن ذاتها وللاخرى قسري وانما يقع الاعياء او الرعشة
بسبب تعصي الثانية عن طاعة النفس احيانا **حكمة قرآنية** ان الله تعالى قد خلق
النفس الانسانية من جهة ذاتها العقلية وصفاتها الكمالية وافاعيلها الالهية
والتحريكية مثالا له فكونها مستخدمة لطبيعتين مقهورتين تخدم احديهما لها طوعا
والاخرى لها كرها كطاعة طبايع السموات وطبايع الارضين وملكوتها للباري
جل ذكره من حيث كون طاعة السماويات في حركاتها الدورية الشوقية واتيانها له
تعالى فطرية من غير ممانعة طبيعة اخرى تخالفها في طاعتها وحركتها شوقا وطربا و
لا قسر قاسر يمنعها عن جهة العبودية والاتيان تقربا اليه بخلاف طبايع الارضيات
في حركاتها النفسانية المخالفة لمقتضى طبايعها الاسطقسية كما قال سبحانه فقال
لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وكذا قوله ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها واما قوله قالتا اتينا طائعين حيث نسب الطوع
اليهما جميعا فبعد ان نسب الطوع الى السماء والكره الى الارض يعني في بعض حركاتها

فذلك لان طبايع الارضيات بعد حصول الاستعدادات وقبول الاستكمالات و
التكونات ولحوق الصور والكمالات صارت كالسماويات قابلة لانوار المعرفة و
الهدى سالكة سبيل الحق الاول بمخالفة الطبع والهوى ولما ان القضايا الطبيعية
المقسورة تصير بذاتها فاعلة للحركة القسرية بعد اعداد القاسر اياها فهى وان كانت
متعصية اولا غير مطاوعة قوة يقسرها كارهة لاتيانها بسوء الحركة المخالفة لمقتضاها
لكنها بعد فعل تلك القوة واعدادها تصير مقتضية لهذه الحركة طالبة اياها بحيث
لا يعود الى مقتضاها الاول الا بمصادم آخر يمنع عنها واما وجود امثلة هاتين
الطبيعتين للنفس فلان لها ضربين من القوى والخوادم الطبيعية يفعل باحدهما
الافعال المسماة بالافاعيل الطبيعية وبالاخرى الافاعيل المسماة بالاختيارية
فالطايفة الاولى يخدمها طوعا وهى مثل مبادى الجذب والدفع والامساك والاحالة
والهضم والنمو والتوليد وغيرها والطايفة الاخرى تخدمها كرها مثل المبادى القريبة
للحركات الاختيارية الاينية والوضعية كالمشى والقعود والقيام فهى من حيث
جزئها الذى يسمى بالنفس الحيوانية والامر جهة جزئها الذى يسمى بالنفس الناطقة فى ابتداء
كلاهما يخدمها قهرا وتسخيرا ولها من هذه الجهة جنود وخوادم اخرى يخدمها طوعا و
رضاء وهى مثل مبادى الادراكات الوهمية والخيالية والحسية ومبادى الاشواق
والارادات الحيوانية والنطقية وهى باقية معها فى النشأة الآخرة وتلك مسئلة

وفى اثبات المعاد الجسمانى

الفصل السابع

فى ان الحركة المستديرة اقدم الحركات
وادومها واتمها واشرفها اما انها اقدم الحركات فلان الحركة فى الكم مثل النمو و
الذبول يفتقر الى حركات مكانية اذ لابد للنامى والذابل من وارد يتحرك اليه او
خارج يتحرك منه وهى والوضعية يستغنيان عن الكمية والتخلخل والتكاثف لا
يخلوان من حركة كيفية وهى الاستحالة بتحليل مسخن او تجميد مبرد والاستحالة لا يكون
دايمة فلابد لها من علة محيلة حادثة مثل نار تحيل الماء بان يقرب منه او يقرب هو
منها بعد ان لم يكن فالحركة المكانية اقدم من الكمية والكيفية لكن المكانية
اما مستقيمة او منعطفة او راجعة والمستقيمات لا تدوم على اتصالها لتناهى
الابعاد المكانية كلها والاخريان غير متصلتين لتخلل السكون بين كل حركتين
مختلفتين جهة والسكون لا يكون الا فى زمان لانه عدم الحركة عما من شانه استعدادها
والزمان يفتقر الى حركة حافظة له وهو لا يحفظ بحركة منصرمة والحركة المستديرة
يجوز اتصالها دايما فهى غنية عن ساير الحركات وساير الحركات لا يستغنى عن الدورية
فهى اقدم الحركات طبعا واما ان المستديرة ادوم الحركات لما علمت ان غيرها منقطعة
لا لسكون لانه عدمها وهو لكونه عدما خاصا يصحبه قوة او ملكة يفتقر الى
قابل زمانى متجدد الوجود يحتاج الى زمان يعد زمان الحركة التى هو يقابلها وقد
علم ان حافظ الزمان ومقيمه هى الحركة المستديرة واما انها اتمها فلانها فى نفسها

لايحتمل الزيادة في الكمية كباقي الحركات ولا الاشتداد والتضعف في السرعة و
البطوء لان فاعلها وغايتها ليس امرا محسوسا بل امرا عقليا غير متفاوت في
القرب اليه والبعد عنه لكونه خارجا عن هذا العالم كما يتفاوت غاية الطبيعة
ويشتد حركتها اجزاء في السرعة كلما قرب من الحيز الطبيعي والقسرية يضعف اجزاء
كلما بعدت من القاسر وذلك لان الشيء كلما قرب من مبداه واصله يكون اشد و
اقوى وكلما بعد عنه يكون اضعف واوهن واما انها اشرفها فلانها تامة والتام
اشرف من الناقص فالدورية اشرف من ساير الحركات فحينئذ قد ثبت ان الجرم المتحرك
بالاستدارة وجب ان يكون اقدم الاجرام واتمها واشرفها طبيعة اذ شرف
الفعل يستدعي شرف الفاعل فبقوته الممسكة يتحدد جهات الحركات الطبيعية
المستقيمة والاحياز المكانية. **الفصل الثامن** في اثبات الزمان وانه
بهويته الاتصالية وما يعرضها من الانقسام كمية الحركات وعددها ومقدارها المضبوطة
هي سيما الدورية وخصوصا ما للجرم الاقصى والمحيط الاعلى من الحركة لانها اشرفها
واوسعها فالزمان ينبغي ان يكون عددها ومقدارها الذي يكال به ويعد ساير الحركات
لان ما يكال به ساير الاشياء المكيلة ويعد ينبغي ان يكون اقل كمية واكثر كيفية
ومحيط واقربها الى الوحدة والانضباط وابعدها من عروض التكثر والانتشار اما
اثبات وجود الزمان بحقيقته فالهادي لنا اليه مشاهدة اختلاف الحركات

في المقطوع من المسافة واتفاقهما في الاخذ والترك تارة واتفاقهما في المقطوع
من المسافة واختلافهما في الاخذ والترك تارة اخرى فعلمنا ان في الوجود كونا مقدارا
يتفاوت الحركات فيه غير مقدار الاجسام ونهاياتها لانه غير قار ونهاياته قارة فهو
مقدار للامر غير قار وهي الحركة هذا على طريقة الطبيعيين واما على طريقة الالهيين
فلان كل حادث بعد شيء له قبلية لا يجامع البعدية لا القبلية الواحد على الكثير
وقبلية الاب على الابن او ذات الفاعل او العدم مما يجوز فيه الاجتماع للمتقدم
مع المتاخر بل قبلية قبل لا يجامع البعد لذاته ومثل هذا الامر فيه تجدد قبليات
وبعديات فلا بد من هوية متجددة متصرمة بالذات على نعت الاتصال لمحاذاة
الحركات الواقعة في المسافات الممتنعة الانقسام الى ما لا ينقسم اصلا فهو
لقبوله الزيادة والنقصان مع اتصاله الغير القار اما كمية متصلة غير قارة او
ذو كمية متصلة غير قارة وعلى التقديرين فاما جوهر او عرض فان كان جوهرا
فلاشتماله على الحدوث التجددي لا يمكن ان يكون مفارقا عن المادة والاستعداد
فهو اما مقدار جوهر مادي غير ثابت الذات بل متجددة الحقيقة او مقدار تجدده وعدم
قراره وبالجملة اما مقدار حركة او ذو حركة يتقدر به من جهة اتصاله ويتعدد به من جهة
انقسامه الوهمي الى متقدم ومتاخر فهذا النحو من الوجود له ثبات واتصال وله
ايضا تجدد وانقضاء فكانه شيء بين صرافة القوة ومحوضة الفعل من جهة وجوده

ودوامه يحتاج الى فاعل حافظ ومن جهة حدوثه وتصرمه يحتاج الى قابل يقبل امكانه وقوة
وجوده فلا محالة يكون جسما او جسمانيا واتصاله وحدة اتصالية وكثرة تجددية
فمن جهة كونه امرا واحدا يجب ان يكون له فاعل واحد وقابل واحد اذ الصفة الواحدة
يستحيل ان يكون الا لموصوف واحد من فاعل واحد ففاعله يجب ان يكون متبرى
الذات عن المادة وعلايقها والا لاحتاج في تجسمه واستعداده لتجدد الاحوال الى
حركة اخرى وزمان آخر ومادة سابقة وقابله يجب ان يكون اقدم الاجسام وانمها
اذ الزمان لا يتقدم عليه شيء غيره هذا التقدم فقابله يستحيل ان يكون من جسم آخر
او يكون منه جسم آخر فيكون تام الخلقة غير عنصري لا يكون في طبعه حركة مكانية ولا
حركة كمية ولا استحالة في الكيف لان هذه الاشياء يوجب انصرامه وانقطاعه و
يسقط تقدمه على ساير الاجرام واما من جهة كونه ذا حدوث وتجدد وانقضاء وتصرم
ففاعله القريب المباشر له يجب ان يكون له تجدد وتصرم وكذا قابله يجب ان يكون
ما يلحقه اكوان تجددية على نعت الاتصال والوحدة وكذا الكلام في غايته قال
الشيخ في التعليقات الغرض في الحركة الفلكية ليس هو نفس الحركة بما هي حركة
بل حفظ طبيعة الحركة الا انها لم يمكن حفظها فاستبقيت بالنوع وكذلك كالابقاء
نوع الانسان الا بالاشخاص لانه لم يمكن حفظ شخص واحد لانه كاين وكل كاين فاسد
بالضرورة والحركة الفلكية وان كانت متجددة فانها واحدة بالاتصال والدوام

دوام

ومن هذه الجهة وعلى هذا الاعتبار يكون كالثابتة وقال في موضع آخر غاية الطبيعة الجزئية
شخص جزئي كالشخص الذي يكون بعده كما يكون هو غاية بطبيعة اخرى فاما الاشخاص التي
لا نهاية لها فهي غاية للقوة الثابتة في جواهر السموات وقال ايضا فيها سبب الحركة الفلكية
تصور النفس الى تصور بعد تصور وهذا التصور والتخيل الذي له مع وضع ما سبب
للتخيل الآخر يستعد بالاول للثاني ويصح ان يكون التصورات المتكررة تصورا
واحدا في النوع كثيرا بالشخص او تصورات مختلفة وقال ايضا فيها هذا التصور الثاني
مثل الاول نوعا لا شخصا يجوز ان يصدر عنه حركة مثل حركته نوعا لا شخصا ولو كانا
مثلين لكانا واحدا او صدر عنهما حركة واحدة بالعدد وقال ايضا فيها كل وضع في
الفلك تتصور وضعا وسببه تجدد توهم بعد توهم آخر هذه عباراته بالفاظه وهي قوية
القول باثبات الحركة في الصور الجوهرية من وجهين الاول ان التصورات الفلكية
متجددة على نعت الاتصال التدريجي وهو المعني بالحركة في الجوهر الصوري لما تقرر عندهم
ان صورة الجوهر جوهر وتصورات الافلاك انما يكون لمباديها المحركة اياها بالذات
ولما يتبعها بالعرض لما تقرر عندهم ان غرضها في الحركة ليس لاشياء سافلة فيكون
مقاصدها وتخيلاتها صورا جوهرية اشرف من الجواهر العنصرية ويكون نسبة الصور
العنصرية الى تلك الجواهر العقلية نسبة الظل الى الاصل والثاني ان الوضع لكل
جسم نحو وجوده او لازم وجوده كما صرحوا به وجميع اوضاع الفلك طبيعية له لانه

بعضها طبيعي وبعضها قسري اذ لا قاسر في الفلكيات فالحركة في الوضع الطبيعي تخصص
تبدل الوجود التخصصي فيكون في الفلك تخصص بعد تخصص ووجود بعد وجود على وصف
الاتصال التدريجي قال ايضا في التعليقات طبيعة الفلك من حيث هو طبيعة الجسم
يطلب الاين الطبيعي والوضع الطبيعي لا اينا مخصوصا فيكون النقل منه قسرا
وقال هذه الاوضاع والاينون كلها طبيعية له انتهى اقول لما خرج من هذا
الكلام ان كل وضع من اوضاع الفلك وكل اين من اينونه طبيعي ومع كونه طبيعيا ينتقل
منه الى غيره فلا يستقيم ذلك الا بان يجعل طبيعة الفلك امرا متجدد الذات ذا وحدة
جمعية وكثرة اتصالية وكذا ما يقتضيه من الاوضاع والاينون وساير اللوازم وهذا
وان لم يكن مذهب الشيخ ومتابعيه الا انه الحق الذي لا محيص عنه والذي يناسب
آراء هؤلاء ان مقتضى طبيعة الفلك اولا وبالذات هو الوضع المطلق والاين
المطلق من غير خصوصية لشيء منهما وانما يراد تلك الخصوصيات بالعرض لاجل بقاء
النوع وهذا عند التحقيق غير مستقيم اما اولا فلما تقرر عندهم ان مقصود الطبيعة
لا يكون الا امرا متعينا متخصصا اذ الطبيعة الكلية لا وجود لها ما لم تتشخص فالجود
يتعلق اولا بالشخص ثم بالنوع ثم بالجنس ولهذا ذكروا في قاطيغورياس بيان
تسميتهم الاشخاص الجوهرية جواهر اولى ولانواعها جواهر ثانية ولاجناسها جواهر
ثالثة واما ثانيا فلما بيناه في مواضع من كتبنا ورسايلنا ان الموجود في كل [illegible]

هو

هو الوجود وهويته المتشخصة بنفسه اما المهيات التي يقال لها الطبايع الكلية فليس لها وجود الهوية
لا في الخارج ولا في الفرض الا بتبعية الوجود فالحاصل ان الوضع والاين من جملة
المشخصات ولوازم الوجودات والتبدل فيها عين التبدل في نحو الوجود او
لازم له وليس كما ظن في المشهور ان هذا الجرم تشخصه علة مطلقة للزمان والحركة
والا لم يكن زمانيا وكل جسم وجسماني زماني وكل زماني فهو متشخص بالزمان و
فاعل الشيء غير مفتقر الى ذلك الشيء فعلة الزمان من جهة وحدته الاتصالية يجب ان
يكون نسبته الى اجزائه المتقدمة والمتاخرة نسبة واحدة ويفعل الزمان و
ما معه فعلا واحدا ويكون علة حدوثه وعلة بقائه شيئا واحدا اذ الشيء
التدريجي الغير القار بالذات بقاؤه عين حدوثه وقد علمت من طريقتنا ان كل
جسم وكل طبيعة جسمانية وكل عارض جسماني من الشكل والوضع وساير العوارض
المادية امور سيالة زايلة اما بالذات واما بالعرض ففاعل الزمان على الاطلاق
لا بد وان يكون امرا ذا اعتبارين وله جهتان جهة وحدة عقلية وجهة كثرة
تجددية فبجهة وحدته يفعل الزمان بهويته الاتصالية وبجهة تجدده ينفعل
عنه ويفعل اخرى بحسب هويات ابعاضه المخصوصة وذلك الامر انما هو نفس
الفلك والطبيعة العقلية له جهة وحدتها والطبيعة الجسمانية جهة كثرتها
وتجددها فنفس الجرم الاقصى فاعل الزمان ومقيمه وحافظه ومجدده وهي ايضا متجدد

المكان والجهات المكانية بمثل البيان المذكور اذ الجسم الشخصي كما يفتقر الى
الزمان والحركة في امكانه الاستعدادي وحدوثه التجددي كذلك يحتاج الى المكان
والوضع والجهة فكيف يتقدم عليها طبعا فان هذه الامور كما اشرنا اليه اما من
مقومات الشخص الجسماني او من لوازم وجوده ولوازم الوجود كلوازم المهية في امتناع
ان يتخلل جعل بين الملزوم واللوازم فالاكوان الجسمانية مطلقا اكوان ناقصة
يحتاج الى زمان ومكان ووضع وكم فكيف فقد علمت ان فاعل هذه الامور يجب
ان يكون اصلا مفارق الذات والوجود عنها فلا يجوز ان يكون علة الزمان زمانا
قبله ولا علة المكان مكانا قبله وعلة الوضع وضعا آخر وهكذا في الكم وغيره
فهذه الامور مع انها حوادث متجددة متصرمة فعلتها الاصلية لابد ان يكون
قديما ثابت الذات خارجا عن سلسلة الزمان والمكان وهو الله سبحانه بذاته
الاحدية او من جهة بعض صفاته الربوبية او من جهة عالم امره الذي اذا قال
لشيء كن فيكون **الفصل التاسع** في تاكيد القول بانه لا يتقدم على
الزمان شيء الا البارئ عز مجده لما علمت ان الزمان وما يقترن به امور تدريجية
الاكوان متجددة الحصولات فكل ما يتقدم على الزمان سواء كان وجودا او
عدما او غيرهما هذا التقدم اي الذي بحسبه لا يجامع المتقدم المتاخر يكون
زمانا او ذا زمان فيكون قبل كل زمان زمان وقبل كل حركة حركة الى ما لا

نهاية له وقد ثبت ايضا فيما مر ان علة الشيء لابد وان يكون غير متعلقة الذات
والوجود بذلك الشيء فلا يتقدم على الزمان الا البارئ وارادته وقدرته وامره المعبر
عنها تارة بالعلم التفصيلي له تعالى واخرى بالصفات عند قوم واخرى بالملائكة
العقلية عند آخرين وللناس فيما يعتقدون مذاهب وايضا لو تقدم على
الزمان والحركة شيء هذا التقدم التجددي لكان عند وجوده عدمهما وكل معدوم
قبل وجوده كان حين عدمه ممكن الوجود اذ لو لم يسبقه امكان لكان اما واجبا
او ممتنعا وكلاهما يوجب انقلاب الحقيقة لسبق العدم ولحوق الوجود وذلك
مستحيل وموضوع امكان الحركة لابد وان يكون من شانه الحركة كما مر وممكن
الحركة لا يكون الا جسما او جسمانيا وكل ما من شانه ان يتحرك فاذا لم يوجد حركته
فاما لعدم علته او لعدم شيء من احوال علته او شرايطها التي بها يصير محركا فاذا او جدت
الحركة فلحدوث علة محركة والكلام في حدوث العلة المحركة كالكلام في حدوث تلك
الحركة وهكذا الا الى نهاية فالاسباب المترتبة اما ان وجدت مجتمعة معا او متعاقبة
على التوالي وكلاهما محال عندنا وعند محققي الفلاسفة اما الاول فلقواطع البراهين
كالتطبيق والتضايف والحيثيات وذي الوسط وغيرها ومع ذلك فجميعها بحيث
لا يشذ عنها شيء حادثة لابد لها من علة حادثة واما الثاني فلان كل واحد منها لو
كان موجودا في آن واحد بالفعل يتلو بعضها بعضا لزم تتالي الآنات وتشافع

الحدود وقد علمت استحالة في نفي الجواهر الفردة وما في حكمها وان كان كل منها في زمان
غير زمان صاحبه فان كان ازمنتها منفصلة منقطعة بعضها عن بعض فلا وجود
لها ولا لازمنتها لا ذهنا ولا خارجا ولا وجود لا ذهنا ولا خارجا فلا ترتب
بينها ولا سببية لبعضها بالقياس الى البعض الآخر وانما قلنا لا وجود لها فيها
لعدم وجودها في الخارج فلان الموجود من الزمان في نفسه ليس امورا منفصلة بل
الموجود منه امر متصل شخصي كما مر واما عدمها في الذهن فلاستحالة استحضار الوهم
ازمنة وزمانيات متكثرة غير متناهية بالعدد وعلى تقدير استحضاره لا يكون
مطابقا لما في العين فيكون ذهنا كاذبا والكلام في اسباب وجود الشر الواقع
في نفس الامر وان كان ترتبها كترتب حركة بعد حركة وزمان بعد زمان على نعت
الاتصال والاستمرار فالمتصل بالذات على نعت التجدد هو وجود الطبيعة الجوهرية
التي هي صورة الجسم والجسم بقوة الاستعدادية مادتها واتصالها هو الحركة
بمعنى القطع ومقدار هذا الاتصال هو الزمان واما الامر المستمر الدايم منها فهو
اصلها وسنخها المتوسط ابدا بين حدودها واجزائها التي هي جزئياتها ايضا وهي
كانها اجزاؤها بوجه والان السيال الذي بازائه ما نسبته الى الزمان نسبة التوسط
الى الحركة المتصلة فههنا امر عقلي هو جوهر فعال واحد ذو شئون غير متناهية
وشئونه اظلال الشئون الحق الاول جل اسمه حيث قال كل يوم هو في شان فذلك

الام

الامر لا يجوز ان يكون جسما او جسمانيا لما علمت مرارا ان كل جسم او جسماني واقع تحت
الزمان والحركة فهو اما نفس او عقل او ذات الباري لا سبيل الى الاول لان النفس
بما هي متعلقة بالجسم حكمها حكم الطبيعة المادية وصورها الجرمية المتبدلة الكائنة
فعلة الزمان والزمانيات المتجددة المتصرمة على الاستقلال اما الباري بذاته او
بتوسط امره الاعلى المسمى بالروح الاعظم وهو عالم ملكوته والهيته والروح ملك
مقرب مشتمل على ملائكة كثيرة هي جنود للرب تعالى كما اشار اليه بقوله وما يعلم جنود
ربك الا هو وله هوية وجودية ذو هويات كثيرة عقلية وعن امير المؤمنين عليه السلام
انه قال الروح ملك من الملائكة له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان
ولكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق من كل
تسبيحة ملك يطير مع الملائكة الى يوم القيمة مستغرقة في الهوية الواجبة الالهية
ونسبة الروح لكونه امر الله كنسبة الامر الى الآمر من حيث هو آمر ونسبة الكلام
الى المتكلم من حيث هو متكلم وآمرية الحق تعالى وفاعليته بنفس ذاته الاحدية والا لم
يكن تام الفاعلية حيث يكون فاعليته بامر زايد من ارادة زايدة او داع او صلوح
حال او حصول شرط او رفع مانع او استعداد قابل او غير ذلك تعالى عن ذلك الجميع
علوا كبيرا الا له الخلق والامر لكن عالم خلقه وهو كل ما له خلق وتقدير ومساحة كالاجسام
والجسمانيات حادثة الذوات تدريجية الوجودات منفكة الحقائق المادية عن

قدرته فالله سبحانه فاعل لم يزل ولا يزال كما انه عالم مريد لم يزل ولا يزال وهو آمر و
خالق ابد الدهر الا ان امره قديم وخلقه حادث لما عرفت ولذا قال في كتابه العظيم
وكان امر الله مفعولا ولم يقل خلق الله ونسبة عالم امره اليه نسبة الضوء الى
المضيء بالذات ونسبة عالم الخلق اليه نسبة الكتابة الى الكاتب فان وجود كل
صورة من صورة الكتابة متاخر عن وجود الكاتب وهو متقدم عليها جميعا تقدما
لا يجامع بحسبه المتقدم المتاخر ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين

الفصل العاشر

في نتيجة ما قدمناه وثمرة ما اصلناه قد علمناك وهديناك طريقا عرشيا لم
يسبقنا احد من المشهورين بهذه الصناعة النظرية في اثبات حدوث العالم
الجسماني بجميع ما فيه من السموات والارضين وما بينهما حدوثا زمانيا تجدديا فاشكر
ربك ايها الاخ المؤمن في انفتاح روزنة قلبك الى مشاهدة عالم الملكوت من
هذا البيت المظلم الكدر ذي حيات وعقارب وسباع وذلك لما علمت بالبرهان
ان الطبيعة السارية في الجسم التي هي مقومة مادته وصورة ذاته امر متبدل الذات
التشخصية تدريجي الكون لا يبقى وجوده الشخصي زمانين فضلا عن ان يكون قديما
وما من جسم فلكي او عنصري الا وله صورة طبيعية مقومة له هي مبدأ صفاته الذاتية
وآثاره المخصصة وايضا ان المادة لكل جسم حقيقتها القوة والامكان و
ليست واحدة بالعدد بل وحدتها جنسية مبهمة كما ان وحدة الطبيعة المبهمة

لكل

لكل جسم وحدة عددية متكررة على نعت الاتصال وثبت ان الموجود من كل شيء
هو وجوده وليست للمسماة عندهم بالمهيات وعند الصوفية بالاعيان
الثابتة وجود اصلا لا في العين ولا في الذهن بان يصير الوجود صفة لها متقررة
فيها بل حالها كحال الاشباح والاظلال المتراءاة في المرايا وهي كما قال تعالى كسراب
بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده وثبت ايضا
ان النفوس ما هي نفوس وما دامت نفوسا حكمها حكم الطبيعة الجرمية واذا صارت
مجردة بالكلية انخرطت في سلك المفارق المحض واتصلت بالملأ الاعلى وقد ثبت
فقر الهويات الوجودية الى باريها من حيث ذواتها لان ذواتها بذواتها مستغرقة في
بحر اللاهوتية مطموسة انوارها في نور الاحدية ليست لواحد منها كينونة لنفسه و
لا ان يكون له مع نفسه اذا قطع النظر عن جاعله الحق الا البطلان المحض والليس
الصرف لا كحال المهيات حيث يكون لها في انفسها الامكان اذ لا مهية للامر
المفارق الا الهوية المتعلقة بهوية الحق الاول ليثبت لها حالة امكانية مع
قطع النظر عن وجودها وجاعل وجودها فالمهيات امور غير مرتبطة الى العلة المقتضية
للوجودات فهي غير موجودة في ذاتها ولا قديمة ولا حادثة ولا متقدمة ولا متاخرة
كما حققنا في اسفارنا الاربعة فالآيات المفارقة والصور الالهية كلها من الجلال
القدسية والاشعة الالهية واما العالم بجميع جواهره المادية والصورية والنفسية

والجزئية ولواحقها فهي حادثة متجددة في كل حين ولا يوجد في شيء من العالم قديم
بتشخص واحد بالعدد بل يوجد منه في كل آن تشخص آخر فهذه السموات والارضون
الموجودة في هذا الزمان لم تكن موجودة اشخاصها قبل هذا الزمان وليست هي التي
كانت عند الطوفان ولا قبله ولا التي يكون من بعد وكذلك اشخاص كل نوع متكرر
الافراد متكثر الاحاد سواء كانت اشخاصه منتشرة او متصلة فكما لم يكن في افراد الانسان
شخص جسماني ازلي الوجود فكذلك في النوع الذي قيل انه منحصر في واحد كالشمس مثلا فانها
وان لم يكن لها افراد متميزة متفرقة بالفعل الان لها تشخصات لا تنحصر متبدلة
متجددة متصلة زايلة غير باقية ذاتا ووجودا فلا يوجد فيها هوية جسمانية مستمرة
الوجود الى يوم القيمة بل حال الجواهر الجسمانية في وجودها ودوامها كحال الزمان و
الحركة في وجودهما ودوامهما من حيث ان هوياتها الاتصالية متجددة متصرمة فكما
ان الزمان والحركة لا تتصف احدهما لا بالكلية ولا بالجزئية ولا بالكلية ولا بالجزئية الا بالاستمرار
والبقاء والقدم والازلية فكذلك الجواهر الجسمانية وما يتبعها وما اشتهر فيما
بينهم من ان الانواع المادية اي الكليات الطبيعية باقية بتعاقب الاشخاص
ان اريد انه يوجد هناك امر واحد بالعدد من الماهية باق في كل حين ومع وحدته
العددية موجود في كل فرد من افراده فهو من سخايف الاقوال وقد برهن الشيخ الرئيس
على فساده في الشفاء وغيره والشيخ ايضا قد صنف رسالة على حدة في فساد كون

الكلي

الكلي الطبيعي موجودا بوحدته في ساير الافراد معروضا لتشخصاتها وان اريد انه عند
تبدل الافراد وتجدد الاحاد المتوافقة في النوع لا يتبدل حدودها النوعية فذلك
مسلم وليس بضار لنا لان الحدود امور ذهنية انتزاعية مركبة من اجناس وفصول
غير موجودة في الخارج على وصف الوجود والتعين وليس وحدة الطبيعة الجنسية
او الفصلية او الحدية او النوعية وغير ذلك وحدة بالعدد والقدم والحدوث صفتان
يوصف بشيء منهما الموجود الواحد الشخصي اما في العين او في العقل والمفهومات و
المعاني الكلية اذا اخذت من حيث هي هي فهي ليست بواحدة ولا كثيرة ولا قديمة
ولا حادثة بل ولا موجودة ولا معدومة وانما يوصف بشيء من هذه الاوصاف
تبعا لاشخاصها فقد ثبت ان الكلي الطبيعي والماهية المطلقة ليس موجودا واحدا
مستمر الوجود بوحدته بواسطة تعاقب الافراد وتوارد الاحاد حتى يصح القول بقدم
النوع لاجل تعاقب افراده واعداده لا الى نهاية فاذن قد بزغ نور الحق من افق
البرهان وطلعت شمس الحقيقة من مطلع البيان والكشف واستنار بالبرهان
الكاشف للمنير للعقل المحقق البصير ان السماء والسماوي كالارض والارضي في انه
لا بقاء لاحد منهما بعدا لا شخصا ولا نوعا وان حال الشمس والقمر كحال زيد وعمرو
في تبدلهما وانقضائهما ودثورهما وفنائهما من جهة اشتمالهما على الطبيعة الجزئية
السايلة الزايلة الا ان تشخصات السماء والكواكب متصلة وتشخصات العنصر و

والمركبات منفصلة وثبت ان الحمل والثور والنسر والسرطان في عالم السماء كالحمل و
الثور والنسر والسرطان في عالم الارض من حيث ان اشخاص كل من القبيلين متجددة في كل حين
وحقايقها عند الله باقية كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال وان من
شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وذلك لنقصان الديمومة الحسية
لتضاعف جهات الكثرة والنقصان وتراكم حيثيات القوة والامكان في
كل ما له قوة مادية كالفلكيات والعنصريات المشهودة بهذه الحواس المادية فانها
كلها من الدنيا والدنيا دار زوال وانتقال وتبدل وارتحال والآخرة دار قرار وبقاء
وفيها موطن المقربين والاخيار ولقصور الوجود الطبيعي يكون اول كل موجود بهذا
الوجود غير آخره وظاهره غير باطنه فيجتمع الوجود مع العدم والحدوث مع القدم
وتتشابك الخير والشر وتتعانق النفع والضر ولضيق وجود هذا الوعاء الزماني
وقع التضاد بين الانداد والتفاسد لنوع واحد بين الافراد فسبحان من قديم
جمع بين الاضداد مع التماثل ووصل الآحاد مع التقابل **الفصل الحادي
عشر** في ربط الحادث بالقديم قد تحيرت افهام العقلاء من المتكلمين والحكماء
واضطربت اقوالهم في ارتباط الحادث بالقديم والذي هو اسد الاقوال الواردة
منهم واقرب الى الصواب هو قول من قال ان الحوادث باسرها تستند الى حركة دائمة
دورية ولا يفتقر نفس الحركة الى علة حادثة لكونها ليس لها بدو زماني فهي دائمة

باعتبار

باعتبار وبه استندت الى العلة القديمة وحادثة باعتبار وبه كانت تستند الحوادث
فان سئلنا عن كيفية استغناء اعتبار الحادث عن حدوث علة مع انا حكمنا حكما
كليا ان كل حادث فله علة حادثة قلنا المراد بالحادث الذي هو موضوع تلك القضية
هو الماهية التي عرض لها الحدوث من حيث هي معروضة له والحركة ليست كذلك بل
هي حادثة لذاتها بمعنى ان ماهيتها الحدوث والتجدد فان كان ذلك الحدوث و
التجدد ذاتيا لم يكن يفتقر الى ان يكون علته حادثة ونحن اذا راجعنا الى عقولنا
لم نجدها جازمة بوجوب حدوث العلة الا للمعلول الذي تجدد واما المعلول الذي هو
نفس ماهية التجدد والتغير فلا نجدها تحكم عليه بذلك الا اذا عرض له تجدد وتغير زايدا
عليه كالحركة الحادثة بعد ان لم يكن بخلاف المتصلة الدائمة وحدوث العلة التي
يفتقر اليه المعلول الحادث لا يلزم ان يكون حدوثا زايدا والا لم يصح استناد الحوادث
الى الحركة الدائمة فالحاصل ان كل واحد من التغيرات ينتهي الى شيء ماهيته هي نفس التغير و
الانقضاء فلدوام الحدوث والتجدد لم يكن علتها حادثة ولكونها نفس التغير صح ان
يكون علة للمتغيرات والماهية التي هي التغير هي الحركة ولهذا اعترف بها صاحب الاشراق
بانها هيئة يمتنع ثباتها لذاتها انتهى اقول هذا الكلام وان اندفعت به اشكالات
كثيرة لكن فيه بعد خلل كثير الاول ان الحركة امر نسبي ليس لها في ذاتها حدوث ولا قدم
الا بتبعية ما اضيفت اليه اذ معناها كما خروج الشيء من القوة الى الفعل شيئا فشيئا

فبالحقيقة الخارج المتجدد ذلك الامر الذي في الحركة والحركة هي تجدد المتجدد وحدوث
الحادث بما هو حادث الثاني ان الحركة لكونها امرا بالقوة لا يمكن تقدمها على ما هي
موجود بالفعل والكلام في العلة الموجبة للشيء والعلة الموجبة له يجب ان يكون
موجودة معه فالموجود الحادث يفتقر الى سبب حادث يكون موجودا معه زمانا متقدما
عليه طبعا ويجب ان يكون وجوده اقوى من وجود معلوله والحركة ليست موجودة
بالفعل الثالث ان كلامه يدل على كون الحركة الدورية دائمة الذات باعتبار و
بذلك الاعتبار مستندة الى العلة القديمة وهذا غير صحيح اذ الامر التجددي التجدد
ليس له بقاء اصلا فضلا عن كونه قديما واما المهية الكلية له فهي غير مجعولة ولا جاعلة
فلا عبرة باستمرارها كما سبق الرابع انا قد برهنا على ان جوهر الفلك بصورته الطبيعية
الوضعية غير باق بالشخص وكذا ما فيه من الكواكب وعلة الحركة وموضوعها هو الجسم
الطبيعي الشخصي فقوله لم يكن علتها حادثة غير صحيح فالحق الحقيق بالتصديق ان الامر
المتجدد الذات هو نحو وجود الطبيعة الجسمانية التي لها حقيقة عقلية عند الله و
لها هوية اتصالية تدريجية في الهيولى التي هي امر بالقوة وكما ان الوجود متفاوت
الحصول بنفسه في الاشياء بالاشدية والاضعفية والغنى والحاجة والتقدم و
التاخر كما ذهب اليه محصلة الحكماء فكذلك بعض الوجودات تدريجي الذات والهوية
لا بالصفة عارضة له وذلك هو وجود الطبيعة الجرمية فهذا النحو من الوجود لقصوره

عن الدوام بهويته تدريجي الحصول متجدد الكون لست اقول لمهية حتى يستشكل احد
فيه بانا قد نتصور طبيعة من الطبايع الجسمانية بماهيتها ولا يخطر ببالنا التجدد والحدوث
لها كما لا يخطر ايضا البقاء والدوام له فكيف يكون التجدد والحدوث فيها من
الصفات الذاتية او المقومة لها وذلك لان ما ذكره قد نشأ من الاشتباه بين
مهية الشيء ووجوده لان حقيقة الوجود لا يحصل في الذهن فان كل ما له حصول في
الذهن فهو امر كلي وان تخصص بالف تخصيص من الصفات الكلية والوجود في كل
شيء امر متشخص بذاته فلا يكون معلوما بالعلم الحصولي ولا يقع كنهه في الذهن ولو كان
الموجود في الذهن بعينه هو الموجود في الخارج لكان الجزئي كليا والخارج ذهنا و
الوجود ماهية والكل مستحيل تنبيه تمثيلي مما يدل على ان بعض الموجودات
ليس معقوله مساويا لموجوده او متخيله ان مثل الزمان والحركة والدايرة ليست
معقولاتها مثل محسوساتها ومتخيلاتها وكذلك الجسم التعليمي فان كون نحو وجوده
عبارة عن خصوص مقدار مساحي سواء كان في المادة او في الخيال منفصلا عن مادة
ليس له حظ من الوجود العقلي اذ كل معقول كلي لا يكون ممتدا متقدرا اولا في
ممتد متقدر فالمعقول من المقدار ليس مقدارا اي لا يحمل عليه مفهوم المقدار بالحمل
الشايع الصناعي ومن هذا القبيل كثير من الموجودات كالوضع والهيولى والخط
والسطح والعدد والنار والماء مما ليس له معقول مطابق لموجوده وان سالت الحق

فجميع انحاء الوجودات للبسايط الصورية مما لا صورة لها في الذهن كلية مطابقة
لانها هويات شخصية وجودية بلا مهية فكذلك الهوية المتجددة الذات للطبايع
الجسمانية فان الصور المنوعية للاجرام التي هي مبادي لفصولها الذاتية وجودات
متجددة لا مهية لشي منها ونحن قد اقمنا البرهان في بعض كتبنا على ان الصور المنوعة
للجواهر ليست داخلة تحت انحاء اجناس مقولة الجوهر ولا تحت شي من مقولات
الاعراض بل هي هويات وجودية غير مندرجة تحت جوهر ولا كم ولا كيف ولا اين
ولا غيرها من المقولات العشر لانها وجودات محضة هي من شئونات الحق الاول
وظلال اشراقاته وآثار اشعة ذاته **بحث وتحصيل** فان رجعت وقلت ان هذه
الهويات الوجودية المتجددة المسماة عندك لشئون الحق وعندهم بالصور النوعية
والطبيعة الجوهرية كيف صدرت عن موثر قديم فان صدرت من غير قابل مستعد
اياها لزم ان يكون تلك الصور عقولا مفارقة وهو امع استحالته يستلزم خلاف
المفروض والتناقض اذ التجدد ينافي الوجود المفارق التجردي وان صدرت عنه
في قابل مستعد فان كان القابل حادثا يلزم ان يكون متوقفا على قابل آخر و
استعداد سابق وهكذا فيتسلسل الى لا نهاية وان كان قديما وله استعدادات
متجددة يلزم عليك قدم المادة بالشخص متقومة بصور متعاقبة ولزوم التسلسل
ايضا في المتعاقبات فكيف ادعيت حدوث العالم الجسماني بجميع اشخاصه

مع لزوم قدم كل مادة مصورة بصورة نوعية فيكون عدد الاشخاص حسب تكثر الصورة
النوعية نوعا على ان الكلام عايد في حصول كل استعداد خاص جزئي لما مران ما بالقوة
متقوم بما بالفعل مفتقر اليه فالاستعداد الخاص انما يحدث بصورة الفعل سابقة
عليه بالطبع لا بالزمان لانها موجبة له بالذات قلت ما اسلفناه من الكلام يغني عن حل
هذه الشبهة وامثالها فان المادة القابلة لشي ان كانت هيولى اولى فوجودها ليست
ليست عددية لان معناها جوهر بالقوة والجوهرية لا يوجب للشي تحصلا نوعيا وكونها
بالقوة امر عدمي لانها عبارة عن سلب شي عن شي مع امكان لحوقه فيكفي في تحصلها
لحوق صورة ما اية صورة كانت وان كانت غيرها فهي ايضا من حيث كونها مادة حكمها
حكم الهيولى الاولى فان جهة القوة والنقص انما كانت راجعة الى معنى واحد فهي
ايضا انما يتحصل ويتقوم بالصورة المقترنة بها الان تحصلها اتم من تحصل الاولى باية
صورة كانت وكل صورة يتحصل بها مادة فتلك الصورة اقدم ذاتا من مادتها من جهة
حقيقتها الاصلية واما من جهة تشخصها الخاص فيتجدد بها المادة ويتجدد بتجددها و
يتجدد بتجددها وقد سبق ان لكل صورة طبيعية جسمانية حقيقة عند الله موجودة
في علمه وهي حقيقتها العقلية لا يحتاج الى مادة واستعداد وحركة وزمان ولها
شئونات متعاقبة متصلة واحدة هي بوحدتها الاتصالية لازمة لحقيقتها
العقلية الموجودة في علم الله واذا نظرت الى تكثر شئونها الحادثة المتجددة وجدت

كلا منهما موجودة في وقت محتاجة الى قابل مستعد يتقدم عليه زمانا وذلك القابل
من حيث كونه امرا بالقوة امر عدمي لا يحتاج الى علة معينة لكونه كما بمعنى عدم شي
ما عن شي ما فيكفي في حصوله وجود صورة ما مطلقة بكون القوة قوة لما على
كمال من الكمالات ومن حيث استعداده الخاص القريب يفتقر الى صورة معينة هي
جهة استعداده وقوته القريبة من الفعل فاذا اخرج من هذه القوة القريبة الى الفعل
الذي يقابلها وجب ان يبطل صورته السالفة بلحوق صورته اللاحقة لعدم امكان
الاجتماع بينهما كما يبطل صورة النطفة اذا احدثت صورة الحيوان وهكذا كل
صورة يتجدد بانقضاء سابقته ويبطل بحدوث عاقبته على نعت الاتصال
التجددي واما السؤال عن اختصاص كل صورة خاصة شخصية بوقتها الخاص فجوابه
ان ذلك ليس بامر زايد على هويتها الوجودية حتى يرد السؤال عن لميته وحاصل
الكلام كما اشرنا اليه ان للوجود حقايق مختلفة لذواتها وقد يختلف ايضا بعوارض
مع اتفاق المعروضات في حقيقتها الاصلية مثال الاول وجود الحق ووجود
الملك ووجود الشيطان ووجود العقل والنفس والجسم فان كلا منها متميز
عن غيره لذاته ولكل منها مقام ومرتبة لذاته فيكون البارئ متقدما على الكل
بنفس ذاته وكذا كون العقل متاخرا عنه متقدما على النفس والطبيعة كالمعلوم
لذاته اي لهويته الوجودية فالثانوية للعقل غير معلل بامر لكونها عين وجوده

المجعول

المجعول جعلا بسيطا وكذا الكلام فيما يتلوه ثالثا ورابعا وعلى ما ذكرنا يحمل كلام
فيثاغورس ان مبادي الموجودات هي العدد وكذا قوله النفس عدد متحرك وقوله
العدد عقل متحرك ومثال الثاني وهو الاختلاف بالعوارض افراد النوع الواحد
المتكثرة الوجود من غير تفاوت لها في وجود نوعها المشترك فيها كسوادات
متعددة لها مرتبة واحدة من الشدة وكذا اعداد من البياض لها مرتبة واحدة
منه فان امتياز وجود السواد مطلقا عن وجود البياض مطلقا ليس بامر
زايد عليهما واما امتياز اعداد كل منهما عن مثله فبلواحق وعوارض اذا ظهر
لك هذان الوجهان من الوجود فاعلم انه ربما كانت في الحقايق الوجودية هوية
واحدة ذات شئون متخالفة لذاتها كالزمان المتصل عند مثبتيه فان له
هوية عرضية متفاوتة في التقدم والتاخر والصورة الطبيعية عندنا كالزمان
عندهم الا ان لها هوية جوهرية خارجية والزمان عرض وهو مقدارها من
جهة تقدمها وتاخرها الذاتيين كما ان الجسم التعليمي مقدارها من جهة قبولها الابعاد
الثلثة فللطبيعة امتدادان احدهما تدريجي زماني يقبل الانقسام الوهمي
الى متقدم ومتاخر زمانيين والآخر دفعي مكاني يقبل الانقسام الى متقدم
ومتاخر مكانيين وليس اتصال الزمان بغير اتصالها في الصورة من جهة
الانقضاء والتجدد كما ليس اتصال المقدار التعليمي بغير اتصالها من جهة الامتداد

المكانية فحال الزمان مع الصورة الطبيعية ذات الامتداد الزمانية كحال المقدار
التعليمي مع الصورة الجرمية ذات الامتداد المكانية فاعلم هذا فانه اجدى من تفاريق
العصر ومن ذهب الى ان الزمان جوهر لعله اراد به ما ذكرناه ومن ذهب الى انه جوهر
مفارق كانه اراد به الحقيقة العقلية من الصور الطبيعية الكاينة في علم الله ومن
ذهب الى ان الزمان واجب الوجود لذاته اراد بذلك معنى ارفع مما يفهمه الجمهور وقد
ورد ايضا في الحديث المشهور لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفي الادعية النبوية
يا دهر يا ديهور يا ديهار يا كان يا كينان يا روح وفي كلام اساطين الحكمة نسبة
الثابت الى الثابت سرمد ونسبة الثابت الى المتغير دهر ونسبة المتغير الى المتغير زمان
ارادوا بالاول نسبة الباري الى صفاته واسمائه وعلومه وبالثاني نسبة علومه الثابتة
الى معلوماته المتجددة التي هي موجودات هذا العالم بالمعية الوجودية وبالثالث
نسبة معلوماته المتجددة بعضها الى بعض بالمعية الزمانية التي هي على التقدم
والتاخر الزمانيين تامل فيه **تكميل مشرقي** قد انكشف لك مما مر وما
عليك بيانه واقمنا عليه برهانه ان الطبيعة الجسمية فلكية كانت او عنصرية
كيف تتلاشى وتضمحل شيئا فشيئا حتى يصير النفس غير محتاجة اليها بل مستغنية عنها
غير راضية في الكون معها ولا مشتاقة في الرجوع اليها لان كل نفس مجبولة في محبة
البقاء والتفاخر بالكون على اتم الحالات فان كل نفس تشتهي ان يكون امير قومه

وسلطان

وسلطان بلده ورئيس اهله وهذا شيء مركوز في جبلة كل نفس فاذن شوق النفس الى مرتبة
العقل اكثر من شوقها الى مرتبة الطبيعة ان لم يعقها عايق ولم يخرجها مخرج عن فطرتها
الاصلية فيكون سليمة الفطرة غير مريضة وذلك اذ كانت معالي الامور بالعقل اشبه
وسفسافها ونقايصها بالطبيعة اشبه فالنفس مجتهدة دايما في طلب البقاء
والبقاء كما علمت ليس من صفات الطبيعة وهو من صفات العقل فبهذا الاجتهاد
وبهذا الشوق اذا وصلت الى مرادها تخلت عن الطبيعة وارتحلت فاذا ارتحلت
عن الطبيعة بطلت الطبيعة ودثرت ولما كانت الطبيعة تحس بالفناء و
الاضمحلال صارت جذابة للنفس اليها ومترقة في غيبها حايلة بينها وبين معالي
الامور مخافة ان يبطل ويضمحل وهذا ايضا لحكمة ومصلحة من الله في اشتغال
النفس برهة من الزمان لتدبير عالم الطبيعة الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا
شك وتحقيق ثم لو رجعت وقلت لم وجب الفناء للطبيعة والدثور وكيف
لا يلحق بمنزلة النفس كما يلحق بمنزلة العقل قلت قد علمت ذلك فيما سبق واما البيان
اللمي لذلك فهو ان النفس حيث كانت ذات جهتين فهي من جهة ذاتها جوهر عقلي
ثابت بالقوة ومن جهة تعلقها بالطبيعة وفعلها وتدبيرها جوهر متجدد غير ثابت
وهاتان الجهتان مما يشبه ان يكون احديهما مقومة لها داخلة في قوامها والاخرى
لاحقة لذاتها لكونها اضافة لها الى الطبيعة فاذا سقطت عنها هذه الاضافات

رجعت الى منبعها الاصلي وحيزها العقلي واما الطبيعة فهي سارية في اقطار الهيولى
نائية عن عالم البقاء والنور متخلصة الى التجدد والانقضاء والدثور فهي لاهية عن
الامور العقلية غير عارفة ولا مشتاقة اليها لبعدها عن عالم العقل فهي بذاتها متجددة
سائلة زائلة لا يمكن لها اللحوق بعالم البقاء وبما فيها من الجهة العقلية النوعية
فحكمها حكم ساير المعاني النوعية والكليات الطبيعية التي لا وجود لها الا بالعقل
ولا يحصل لها الا بما يقومها وجودا ويحصلها تشخصا لانها جسمانية الكون وكل
جسمانية الكون غير شاعر لا بذاته ولا بغيره فالطبيعة لاهية عن الامور العقلية
غير عارفة بها ولا مشتاقة اليها وايضا لا يمكن بقاؤها الا بالنفس وقد علمت
ان النفس لا تدوم فيها ومعها بل تفترق عنها وتخليها لانها محنة للنفس وعذاب لها
وانما اهبطت النفس اليها وبليت بها لنقصان وعصيان اعتراها في مبدا
الوجود وخطيئة صدرت عنها في اول الولادة والكون فاستوجبت ذلك وموضع
المحنة ومكان البلية لا يبقى عند خروج المذنب من ذنبه كما ان السجن اذا خرج منه
المسجون فليس له بيت مغلق عنه بابه ويحبث فيها هو ذلك السجن ولا حاجة الى
السجن بعد خروج المسجون فلذلك وجب في الحكمة الالهية والسنة الربانية زوال
الطبيعة وتلاشيها ودثورها وفناؤها فبالبرهان القاطع ثبت ان النفس لما كانت
متقدمة الوجود على الطبيعة فستصير وترجع الى ما كان عليها كيف تقتضي فطرتها

الاصلية

الاصلية واذا خرجت النفس عن هذه الدار رجعت الى عالمها عند باريها ورجعت (اذا خرجت عن البدن رجعت)
الطبيعة الى عالم الدثور هاوية الى الهاوية وانما يخاف النفس من ذلك ولا تانس
الى الخروج من هذا الحبس لانها استوحشت مخافة ان ينقل الى ما هو شر منه وانما يطلب
الموت الموقنون الذين علموا انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون فيتمنون
الموت تشوقا الى لقاء الله في الدار الاخرة لكونهم يتولون الله ويحبونه كما في
قوله ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين واما
الذين نسوا الله واليوم الاخر وانساهم الشيطان ذكر ربهم لاخلادهم الى ارض
الطبيعة وركونهم الى نشاة الدنيا وعالم الحس فحالهم كما حكى الله عنهم بقوله
يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور فاذن قد ثبت وظهر بالبرهان
الصريح والبيان الصحيح ان ذهاب الطبيعة وفتورها ودثورها واضمحلالها وزوالها
امر ممكن واجب في الحكمة وان الطبيعة اذا استحالت وذهبت تحلت النفس وخراب
البيت ارتحلت كما قال جل اسمه اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض (البدن)
مدت والقت ما فيها وتخلت فان انشقاق السماء تعبير عن ذهاب طبيعتها عند
ما رجعت نفسها الى باريها واذنت داعيها وهو معاد قوله يا ايتها النفس المطمئنة (احافظ)
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي **الفصل الثاني
عشر** في نحو وجود العقول الفعالة ودفع ما اشتهر من الفلاسفة ان لها تقدما غير

تم مد الذات الالهية حتى يكون في الوجود قدما فوق واحد واثبات ان لا قديم دائما
ولا زمانا الا الله الواحد القهار اعلم ان الباري جل ذكره غاية كل شيء كما انه فاعل كل
شيء لانه خير محض لا شرية فيه اصلا وكل ما هو خير محض يطلبه كل شيء طبعا وارادة و
هذا امر مركوز في جبلة العالم جزئياته وكلياته محسوساته ومعقولاته ما من شيء الا و
له عشق وشوق غريزي الى ما فوقه والى ما هو اشرف منه وهو في بعض الاشياء منه
معلوم بالضرورة وفي بعضها يعلم بالاستقراء وفي الكل يعلم بالحدس الصايب و
بضرب من البرهان وهو ان الوجود موثر ولذيذ لانه خير محض وكمال الوجود الذاتي
فكل موجود سائل اذا تصور الموجود العالي فلا محالة يشتاقه ويطلبه طبعا او اختيارا
وهذا الشوق والطلب لو لم يكن له فايدة وغاية طبيعية لكان ارتكازه في
الجبلة والغريزة عبثا وهباء معطلا ولا تعطيل في الوجود كما بين في مقامه
فقد علم ان لكل شيء امكان الوصول الى ما هو اعلى منه وهذا الامكان اما
ذاتي فقط وذلك اذا كان في المبدعات واما استعدادي وذلك اذا كان في
المكونات ففي الابداعيات اذا ثبت الامكان ووجد المقتضي ورفع المانع
حصل المقصود والغاية والمانع القاسر لا يوجد ولا يتصور في المفارقات
لعدم الاتفاقات والمزاحمات هناك كما في عالم الحركات واما في هذا العالم فالغوائل
وان كانت موجودة الا انها ليست دايمية ولا اكثرية لانها من العلل الاتفاقية

الز

التي ليست من الاسباب الذاتية للاشياء وقد برهن في مباحث العلة والمعلول
من الشفاء وغيره ان العلل الاتفاقية اقلية الوجود مع قلتها لا يوجد الا في
غير الفلكيات من هذا العالم واما فيها فالطبايع الاثيرية على مقتضى حالها من
الصور بمقاماتها اللايقة فلها الوصول الى غاياتها ثم الغاية للطبيعة الجزئية
اولا وبالذات طبيعة جزئية اخرى وهكذا الى ما شاء الله والغاية في الطبيعة
الكلية العقلية طبيعة عقلية اخرى فوقها بالعلية والشرف فاذا تقرر هذا فنقول
ان لكل طبيعة جسمية فلكية كانت او عنصرية طبيعة اخرى عقلية في العالم
الالهي وهي الصور المفارقة الالهية لانها صور ما في علم الله وكانها هي التي
سماها افلاطون وشيعته بالمثل الالهية وهي حقايق متاصلة نسبتها الى
هذه الصور الحسية الداثرة نسبة الاصل الى المثال والشبح وانما يكون هي
اصول هذه الاشباح الكاينة المتجددة لانها فاعلها وغايتها وصورتها
ايضا لان تلك الاصول هي عقليات بالفعل وهذه لا تخلو عن القوة والامكان
وهذه بحسب وجودها الكوني التجددي سالكة مشتاقة اليها فهي من حيث جزئيتها
وتشخصها الزماني الاتصالي تنال منها شيئا فشيئا على التتالي وتصل اليها
وصولا بعد وصول وتحصل لها لذاتها منها حصولا بعد حصول على التدريج اذ
لكل صورة عقلية شئون وجهات ووجوه وحيثيات لا يحيط بها الا الله و

اما بحسب وجودها العقلي فهي واصلة اليها متحدة بها لاتحاد ذي الغاية بغايتها عند
الوصول واما تلك الصور العقليات والمثل النوريات والعلوم الالهيات
فهي ابدا ملتحقة بفاعلها وغايتها ملاحظة لجمال باريها ومبدعها لم يرجع الى
ذواتها طرفة عين عنه لان الامكان هناك لا يفارق الفعلية والقصور
لا يباين التمام فهي ابدا مستهلكة الذوات في ذات الحبيب الاول لا فرق بينهم
وبين حبيبهم كما ورد في الخبر القدسي ولا مجال لهم في الانانية والغيرية والمباينة
وجنوده فليسوا منهم ولا من حزبهم والاما وقع منهم الاباء والانانية فما لكل
منهم سجود وركوع وخضوع وهم وتحصيل وليس لاحد ان ينكر وجود العشق و
المحبة الالهية في هذه الصور المفارقة لما بينا ان محبة العالم مركوزة في جبلة
السافل ولا له ان يقول ان المحبة لا توجب الوصول والا لما وجد في العالم محب
مفارق عن محبوبه وعلى تقدير ان نسلم ذلك فربما كان المطلوب نيل النسبة
اليه والتشبه به او القرب منه لا الوصلة والاتحاد لانا نقول ان كل ما هو جبلي
للشيء مركوز في قوة ذاته فمقتضى كونه مركوزا فيها هو ان يحصل لذلك الشيء بالفعل
والتخلف عن مقتضى ذات الشيء لا يكون الا في عالم الاتفاقات نادرا من بعض الاكثر
لا من الطبايع النوعية واما فيما ارتفع عن الكون فالكل منه على مقتضى ما فطر عليه من غير
تخلف واذا ثبت هذا فقوله يجوز ان يكون المطلوب امرا نسبيا كالتشبه

او

او القرب من المطلوب مدفوع بان هذه الامور ان اريد بها نفس المعاني الاضافية
فمعلوم بالضرورة ان مجرد الاضافة ليس من المطالب الصحيحة اذ لا وجود لها
بالذات سيما في الذوات العالية وكذا ان اريد به معنى عرضي لان العرض اخس رتبة
من ان يكون غاية ذاتية لامر جوهري فان غاية الشيء ومطلوبه يجب ان يكون ارفع
واعلى منه والجوهر اشرف من العرض فلو كان كذلك لزم كون الشيء الواحد شريفا خسيسا
معا بالقياس الى امر واحد وهو محال ثم لو تكلف احد وقال يجوز ان يكون الغاية
المطلوبة كون ذلك الجوهر مجامعا لتلك الصفة العرضية الكمالية قلنا ذلك على
تقدير صحته لا يضرنا لان الكلام عايد في انه مع كونه على تلك الصفة اما على غاية
الخيرية والتمام التي لا اتم منه ام يكون فوقه كمال اتم وخيرية اعلى فعلى الاول يلزم
المطلوب وعلى الثاني يتحقق له غاية اخرى يقتضي الوصول اليها اذ ما من موجود
كامل سوى الله الا وله غاية مطلوبة فوقه والكلام جار في غاية غايته وهكذا الى
ان يتسلسل او يدور وهما مستحيلان او ينتهي الى غاية اصلية لا غاية فوقها وهو
البارئ للكل جل اسمه فهو الواحد القهار فليس معه قديم سواه واليه يرجع الامر كله
وبيده ملكوت كل شيء تنوير عرشي كل هوية سواء كانت واجبة او ممكنة فلا
بد لها من لوازم عقلية وفروعات من عالمها ولو بالشيئية والمعلولية والموجودية
وخصوصا الهوية التي هي اصل الهويات ومنبع كل موجود وانيته ومعنى كل مفهوم

ومهية فاذن الذات الالهية لها اشعة وانوار واضواء وآثار كيف والوجود كله
من شروق نوره ولمعان ظهوره وتلك الاضواء والانوار سماها جمهور الفلاسفة
بالعقول الفعالة والمشاؤون وهم اصحاب المعلم الاول سموها بالصور العلمية
القائمة بذاته تعالى وسماها افلاطون وشيعته بالمثل النورية وجمهور المتكلمين
بالصفات الالهية والمعتزلة بالاحوال والصوفية تارة بالاسماء وتارة بالاعيان
الثابتة ولكل وجهة هو موليها وتلك الاشعة كيف تفارق اصلها ومنبعها
لو فارقته وجودا لم يكن اشعة ومثال هذا في الشاهد اشعة شمس الحس الذي هو منزل
الاعلى له في السموات الا ان بين الاشعتين فرق وهو ان اشعة شمس العقل
احياء ناطقة فعالة وافاعيلها افاعيل سماوية بعينها واشعة شمس الحس انوار
لغيرها لا لذاتها ولهذا انها غير احياء ولا ناطقة فاعلة وايضا تلك الصور الالهية
لها اتصال عقلي بمبدائها وفاعلها بخلاف هذه الاشعة فان لها نسبة وضعية
بالشمس فاين هذا من ذاك لا امو عرشية قد تنورت قلبك باشراق
شمس الحقيقة من سماء العقل القدسي وامنت بان ادارة الافلاك وتسيير
الكواكب وجريان العالم على ما هو به انما الغرض منه ان يكون خيرا كله وسعادة
كله وان اصل الابداع جود البارى وفيضه وان بلوغ النفس الى درجة العقل
سكونها وبلوغ النهاية وعند ذلك يكون الراحة الدايمة والطمانينة الكاملة

وهذا

وهذا هو الغرض الاقصى في بناء العالم وادارة الافلاك وتسيير الكواكب ومجى
الانبياء والرسل ونزول الملئكة من السماء بالوحي والانباء وهو ان يصير العالم
كله خيرا فيزول منه الشر والنقص ويعود الى ما بدا منه فيصير لاحقا به فيتم الحكمة و
يكمل الخلقة ويرتفع عالم الكون والفساد ويبطل الدنيا ويقوم القيمة الكبرى ويمحق
الشر واهله وينقرض الكفر وحزبه ويبطل ويحق الحق بكلماته وآياته فهو الغرض الاقصى
والمعرفة العظمى فاحفظ يا حبيبي ما القيناه اليك من هذا العلم المخزون والسر المكنون
الذي لا يمسه الا المطهرون سر اخر في تلاشي عالم الطبيعة ودثوره وفنائه ان اصل
اللذات والانوار والروايح البهية والاشياء الفاضلة كلها الموجودة في الطبيعة
من افاضة النفس عليها باذن الله غير ان الطبيعة قد شوشتها وكدرتها لما امتزجتها
واختلطت بها اذ كانت دونها في الرتبة وغير لاحقة بها فصيرت تلك الشهوات
المكدرة شرا او بالا لما كانت معوقة للخيرات وحصلت من ذلك الاشياء المتضادة
المخالفة بعضها لبعض من المحن والبلاء والامور العارضة المنغصة للعيش المكدرة
للحيوة بما هو موجود في عالم الكون والفساد وكل كمال ولذة في هذا العالم فهو في عالم
آخر على وجه اعلى واتم وابهى والذ واصفى فكيف يتوهم متوهم انها اي اللذات
موجودة في المحل الناقص معدومة في المحل الفاضل ولذلك قال تعالى وان الدار
الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وقوله فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهم

فيها خالدون فهذه معرفة الجنة ونعيمها على الاجمال بالبرهان وقد حققناها في كتبنا
بوجوه تفصيلية وبراهين عقلية ليس ههنا موضع بيانها وقد علمت ان كل
شي الى اصله وكل ناقص يتوجه الى كماله فكل سعيد ينقلب الى اهله مسرورا وكل شقي
يتعذب بدة بشقاوته ويجب محترقا بناره ويتبدل عليه جلوده نضجا بعد نضج حتى
يصل الى النعيم او يصل الى مقره في الجحيم فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى تأييد
اعلم ان ما ذكرناه واوضحناه من حدوث العالم الجسماني من السماويات وغيرها هو بعينه مذهب
اهل الحق من كل قوم من اهل الملل السابقة واللاحقة لان جميع المسالك الالهية و
الموحدين لهم دين واحد ومسلك في الاركان واصول الاعتقاد واحوال المبدا
والمعاد ورجوع الكل اليه سبحانه اولا ترى ان اديان الانبياء كلهم والاولياء صلوات
الله عليهم ورحمته واتباعهم واحد لا خلاف يعقل بينهم في شي من اصول المعارف
الا ما يتعلق بالعمليات والسياسات المختلفة باختلاف الازمنة ومن لم يكن دينه
دين الانبياء عليهم السلام فليس من الحكمة في شي ولا يعد من الحكماء من ليس له قدم راسخ
في معرفة الحقايق اذ الحكيم من كان عارفا بالحقايق على ما هي عليه من احوال المبدا والمعاد
وكيفية صدور الموجودات وكيفية رجوعها اليه فالاول يقال له علم التوحيد وعلم
الالهيات والثاني يقال له علم النبوات وعلم النفس وهذه المعرفة بقسميها هي

بعوده

الحكمة

الحكمة التي جاء في الوحي الالهي اشارة الى تعظيمها وتوقير اهلها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وهي من اعظم المواهب واجل العطايا واشرف الذخاير والسعادات للنفس
الانسانية وبها قيام العالم العلوي والسفلي وابتهاجات جميع الموجودات ولا احد
من سعد الا بالحكمة ولا شقي من شقي الا بجحودها لانها ام الفضايل وافضل الوسايل و
راس العبادات ومعدن الطاعات ومن اعظم البلايا والرزية الاعراض عنها والجحود
لها كما قال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وقوله
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاجهد
يا حبيبي اراك الله طريق السعادة في تحصيل ما اشارت اليها الانبياء في الكتب المنزلة
من الملا الاعلى وما حثت عليه الحكماء في اسفارهم وصحفهم من المقاصد الشريفة والمسايل
المكتومة عن غير مستحقها المضنون بها على غير اهلها فلعلك تنال ما نالوه وتتصور
ما تصوروه وتشاهد ما شاهدوه وتصل الى ما وصلوا اليه وتعيش عيشهم وتحشر معهم
واعلم ان الظن باعاظم الحكماء واساطينهم ممن شهدت افاضل كل عصر وزمان
بتقدمهم وفضلهم واتفقت اماثل كل طايفة على زهدهم وصفاء ضمايرهم و
انخلاعهم عن الحس وتجردهم عن الدنيا ورجوعهم الى الماوى وتشبههم بالمبادي و
تخلقهم باخلاق الباري انهم متفقون على اعتقاد حدوث العالم بجميع جواهره
ولواحقه وافلاكه واملاكه وبسايطه ومركباته الا ان هذه المسئلة لكونها في غاية

الغموض لم يكن لغيرهم من الباحثين والناظرين في كتبهم تحقيقها وفهمها على وجه لا انحراف
فيها ولا عدول ولا غلو ولا تقصير ولعمري ان اصابة الحق في هذه المسئلة وامثالها مع
التزام القواعد العقلية والمحافظة على توحيد الباري وتنزيهه عن وصمة التغير والتكثر
من قصيا مراتب القوة النظرية المضاهية للقوة القدسية ولا باس بان نختم الرسالة
بذكر جملة من اقوال طايفة من معتبري الحكماء الاولين دالة على انهم ممن اصابوا الحق في
هذه المسئلة **خاتمة الرسالة** في ذكر اقوال اعاظم الحكماء الاولين واكابر
الفلاسفة السابقين في حدوث العالم اعلم ان الحكمة نشات اولا من آدم صفي الله
وعن ذريته شيث وهرمس اعني ادريس وعن نوح عليه السلام لان العالم ما خلا
قط عن شخص يقوم به علم التوحيد والمعاد وان هرمس الاعظم هو الذي نشرها في الاقاليم
والبلاد واظهرها وافاضها على العباد وهو ابو الحكماء وعلامة العلماء اشركنا الله
في صالح دعائه واما الروم ويونان فلم يكن الحكمة فيهم قديمة وانما كانت علومهم
اولا الخطب والرسايل والنجوم والاشعار وكانوا صابية يعظمون الكواكب و
يعبدون الاصنام حتى بعث ابرهيم عليه السلام وعلمهم علم التوحيد وذكر
في التاريخ ان اول من تفلسف منهم تالس الملطي واليه نسبت الفلسفة وكان قد تفلسف
بمصر وقدم الى ملطية وهو شيخ كبير نشر حكمته وعلمهم بالحوادث الفلكية كالخسوفات
وغيرها واعلمهم بغروب الطاسات في خسوف وقع اثناء الليل ليشاهدوه ثم لم يكن

لقمان

يقظان فصار رسالة الان فاعتقدوا في الحكمة وكان بعده انكساغورس الملطي و
انكسيمايس الملطي ثم نشا بعد هولاء انباذقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطن وهولاء
يتلو بعضهم بعضا وبهم استكملت الفلسفة اليونانية هذا هو المبدا الاول لحركة
الفلسفة الفاشية بملاطية والمبدا الثاني لحركة الفلسفة التي انضج طبخا واتم كمالا
واجل رتبة واضوا اشراقا هو من فيثاغورس بن مينارخوس الذي من جزيرة ساميا
وقيل هو المسمى للفلسفة بهذا الاسم الذي معناه محبة العلم وكان قد لقي تلاميذ
سليمان بن داود على نبينا وعليه السلام بمصر واستفاد منهم ودخل الى بيوت المتالهين
المرتاضين وكان يامر عليهم برياضات ومجاهدات عظيمة وعلوم دقيقة شاهدها
منه ولم يكن يتمكن احد من الدخول عليهم الا الرهد الفريد وتلمذ ايضا للحكيم المعظم
الرباني انباذقلس وهو اخذ عن لقمان الآخذ عن داود النبي على نبينا وعليهما السلام
ثم سقراط اخذ عن فيثاغورس وافلاطن عن سقراط واخذ ارسطاطاليس عن
افلاطون وصحبه نيفا وعشرين سنة وكان اذا احضر التلاميذ ولم يكن ارسطو فيهم
امسك عن الكلام فاذا استدعى منه قال حتى يحضر الانسان فاذا احضر قال تكلموا
فقد حضر الانسان وكان يسمى في حداثته روحانيا لفرط ذكائه وكان افلاطون
يسميه عقلا وهو الذي صنف الكتب المنطقية ورتب الابواب الطبيعية والالهية
ترتيبا لم يقع لاحد مثله وصنف لكل باب منها كتابا واساطين الحكمة المعتبرة عند

افلاطوكل

اليونانيين خمسة انباذقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطن وارسطاطاليس
قدس الله نفوسهم فلقد اشرقت انوار الحكمة في العالم بسببهم وانتشرت علم الربوبية
في القلوب بسعيهم وكل هولاء كانوا حكماء زهاد عباد امثالهين معرضين عن
الدنيا مقبلين عن الآخرة فهولاء الخمسة يوصفون بالحكمة ثم لم يسم احد بعد
هولاء حكيما بل كل واحد منهم ينسب الى صناعة من الصناعات او سيرة من السير
كان عليها مثل بقراط الطبيب واوميرس الشاعر وارشميدس المهندس وذيمقراطيس
الطبيعي وبوداسف المنجم ولكل واحد من هولاء الخمسة كلام كثير من انواع العلوم
البرهانية والاقناعية فنحن نذكر كلمات هولاء الاساطين الثمانية الثلاثة
الملطيين والخمسة اليونانيين في حدوث العالم وما يتعلق به لانهم بمنزلة الاصول
والمبادي للحكمة وغيرهم كالعيال لهم لانهم كانوا مقتبسين نور الحكمة من مشكوة
النبوة ولا خلاف لاحد منهم ولمن يحذو حذوهم في اصول المعارف وكلام هولاء
في الفلسفة يدور على وحدانية الباري واحاطته علما بالكاينات كيف هو وفي
الابداع وتكوين العالم وان مبادي الاول ماهي وكم هي وان المعاد ما هو ومتى هو و
كيف بقاء النفس يوم القيمة وانما نشا القول بقدم العالم بعدهم لاجل تحريف
الحكمة والعدول عن سيرتهم وقلة التدبر في كلامهم وقصور الفهم عن سماع امثالهم [صح: فهمهم]
تاليس الملطي وهو اول من تفلسف بالملطية بعد ما قدم الهياكل مصر كلامه قال ان العالم

مجموعا

مبدعا لا يدرك صفته العقول من جهة هويته وانما يدرك من جهة آثاره وابداعه و
تكوينه الاشياء ثم قال ان القول الذي لا مرد له هو ان المبدع ولا شي مبدع
فابدع الذي ابدع ولا صورة له عنده في الذات لان قبل الابداع انما هو فقط واذا
كان هو فقط فليس يقال حينئذ جهة وجهة حتى يكون هو وصورة او حيث و حيث
حتى يكون هو ذو صورة والوحدة الخالصة ينافي هذين الوجهين والابداع هو تاييس
ما ليس بشي واذا كان هو موئيس الآيسات فالتاسيس لا من شي متقادم فمؤيس
الاشياء لا يحتاج ان يكون عنده صورة الايس بالايسية قال لكنه ابدع العنصر
الذي هو فيه صور الموجودات والمعلومات كلها فانبعثت منه كل صورة موجودة
في العالم على المثال الذي في العنصر الاول وهو محل الصور ومنبع الموجودات و
ما من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة ومثال عنه
انتهى اقول كلام هذا الفيلسوف يستفاد منه اشياء شريفة منها انه كان و
لا شي معه ومنها ان الاثر الصادر منه وجود الاشياء وآيسيتها لا ماهيتها وعلم
من قوله هو مويس الآيسيات ان الوجود الممكن مجعول منه بالجعل البسيط وقد
علمت ابتناء كثير من مقاصدنا التي كنا بصددها عليه ومنها ان العالم العقلي بكله
واحد ناش من الواجب تعالى بجهة واحدة ومع وحدته فيه صور جميع الاشياء وهو
المعبر عنه في لسان الفلسفة بالعنصر الاول وفي لسان الشريعة بالقلم الاعلى الالهي

وكان المراد به الوجود الانبساطي المطلق الى غير ذلك من الفوايد التي لو عددناها ونقحناها
لطال الكلام ومن العجب انه نقل عنه ان اصل الموجودات هو الماء فالماء قابل
كل صورة ومنه ابدعت الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما اقول وكانه
اراد به المادة الجسمانية ومن هؤلاء الاعاظم انكساغورس الملطي رايه في الوحدة انه
مثل راي ثالس الا ان في كلامه رموزا وتجوزات يتوهم ان فيه تجسم الاله تعالى عن
ذلك مثل ما حكي انه قال ان الحق الاول ساكن غير متحرك والسكون في عرفهم عبارة عن
الواجب بالذات وربما يطلق عندهم بمعنى عدم التغيرات العالية الى السافل اذا كان
مفارقا محضا والحركة عبارة عن الفاعلية او عن الوجود بعد العدم وحكي عنه
فرفوريوس انه قال اصل الاشياء جسم واحد موضوع للكل لا نهاية له ومنه يخرج
جميع الاجسام والقوى الجسمانية اقول لا يبعد ان يكون المراد منه الهيولى
الاولى المتقومة ذاتها من الجوهر الامتدادي مطلقا وهي المبدا القابل للكاينات
وفيها القوة الغير المتناهية للانفعال كما ان للباري القوة الغير المتناهية للفعل
وحكي عنه ايضا انه قال كانت الاشياء ساكنة ثم ان العقل رتبها ترتيبا على احسن
نظام فوضعها مواضعها من عال ومن سافل ومن متوسط ثم من متحرك ومن ساكن
ومن مستقيم الحركة ومن داير ومن افلاك متحركة على الدوران ومن عناصر متحركة على
الاستقامة وهي كلها بهذا الترتيب مظاهرات لما في الجسم الاول من الموجودات

وحكي

وحكي عنه ان المرتب هو الطبيعة وربما يقول المرتب هو الباري اقول قد علم من
الاصول التي اسلفنا ذكرها وصحة ما ذكره فتدبر كي تدرك غوره ومن هؤلاء
انكسيمايس الملطي المعروف بالحكمة المذكور بالخير كان يقول ان هذا العالم يدثر و
يدخله الفساد من اجل انه سفل تلك العوالم وثفلها ونسبته اليها نسبة القشر
الى اللب والقشر يرمى قال وانما ثبات هذا العالم بقدر ما فيه من قليل نور ذلك
العالم ولولا ذلك لما ثبت طرفة عين ويبقى ثباته الى ان يصفي العقل جزؤه الممتزج
ويصفي النفس جزؤها المختلط فيه فاذا اصفي الجزءان عند ذلك دثرت اجزاء هذا
العالم وفسدت وبقيت مظلمة وبقيت الانفس الدنسة الخبيثة في هذه الظلمة
لا نور لها ولا سرور ولا راحة ولا سكون ولا سلوة وقال كل مبدع ظهرت
صورته في حد الابداع فقد كانت صورته في علم الاول والصور عنده بلا نهاية ثم قال
ابدع بوحدانيته صورة العنصر ثم العقل انبعث منهما بتبدعة الباري فرتب
العنصر في العقل الوان الصور على قدر ما فيهما من طبقات الانوار واصناف
الآثار وصارت تلك الطبقات صورا كثيرة دفعة واحدة كما تحدث الصور
في المرآة الصقيلة بلا زمان ولا ترتيب بعض على بعض غير ان الهيولى لا تحتمل
القبول دفعة واحدة الا بترتيب وزمان فحدثت تلك الصور فيها على
الترتيب اقول قد علم من كلامه ان مذهبه دثور هذا العالم وفساده وزواله

وظهر من كلامه ايضا ان علومه تعالى قديمة قائمة بذاته من غير لزوم تكثر في صفاته وان معلوماته
حادثة لقبائحها بالهيولى التي شانها القوة والاستعداد وقبول التجدد والدثور
لصور الاجساد صورة بعد صورة ونقل عنه ايضا ان اول الاوائل هو الهواء ومنه
تكون جميع ما في الاجرام العلوية والسفلية وكانه اراد به الهيولى كما اراد ها
تالس من الماء قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ولعله جعل الهواء اول الكا[ئنات] واول
لموجودات العالم الجسماني كما جعل العنصر اول الاوائل لموجودات العالم الروحاني
وهو على مذهب تالس اذ اثبت العنصر والماء في مقابلته وهو قد اثبت العنصر و
الهواء في مقابلته ونزل العنصر منزلة القلم الاول والعقل منزلة اللوح القابل
لنقش الصور ورتب الموجودات على ذلك الترتيب وهو ايضا من مشكوة النبوة
اقتبس وبعبارة القوم التبس اقول كانهم ارادوا بالعنصر الاول الوجود
المطلق المنبعث عن ذاته تعالى المتعين بالتعينات العقلية والنفسية والجسمية و
الطبيعية وهذه المرتبة من الوجود يسمى بالوجود المطلق واللابشرط الذي ليس عمومه
واشتراكه على جهة الكلية والابهام بل على وجه لا يعلمه الا الراسخون في العلم كما
ان الوجود الواجبي يسمى بالوجود بشرط لا والهوية الغيبية ومرتبة الاحدية و
الوجود الخاص لكل ممكن يسمى بالوجود المقيد وبشرط شيء وقد يسمى المطلق الانبساطي عند
بعض العرفاء بالنفس الرحماني وهو اول فيض صدر عن الباري تعالى ويتجدد فيه جميع الصور

العقل

العقلية كما مر ومن عظماء الحكمة وكبرائها انباذقلس وهو من الخمسة المشهورة من
رؤساء يونان كان من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم متفضلا في
الاحوال وكان في زمن داود النبي على نبينا وآله وعليه السلام وتلقى منه واختلف الى
لقمان الحكيم واقتبس منه الحكمة ثم عاد الى يونان وافاد ونقل عنه انه قال العالم
مركب من الاسطقسات الاربع وانه ليس وراءها شيء ابسط منها وان الاشياء
كامنة بعضها في بعض وابطل الكون والفساد والاستحالة والنمو اقول ان
لكلا قوليه وجها صحيحا عندنا ليس هذا المقام موضع بيانه وتفصيله وعليك بحسن
الظن بامثاله وكون الافلاك عنصرية مما ذهب اليه بعض العرفاء كالشيخ العارف
المحقق محي الدين الاعرابي الطائي واما مذهب الكمون فليس معناه ما فهمه النار
من اهل النظر ان في النار مثلا صورة مائية بالفعل الا انها خفيت عن الابصار
واستبطنت وتعطلت عن فعلها من التبريد والترطيب وغيرها وهكذا في
الاجسام الاخر وهذا الرجل اجل قدرا واعظم خطرا من ان يذهب عليه امثال
هذا بل لكلامه محمل صحيح يدق عن فهم الجمهور ومما نقل عنه ايضا انه تكلم في الباري
بنوع حركة وسكون وهو منزه عنهما ولا محالة ان المبدع الاكبر لانه علة كل متحرك
وساكن وشايعه في هذا الرأي فيثاغورس ومن بعده من الحكماء الى افلاطن اقول
قد اشرنا سابقا الى ما اراده بالحركة والسكون وانما اريد بالحركة ههنا الايجاد و

فعال لكونه منبع كل حركة لان الفيض والعلم
محرك وكونه منبع السكون

بالسكون عدم التفات العالي الى السافل فجمعنا كلامه ان الغاية في فعل الباري تعالى ذاته
بذاته وان الغاية في فعل العنصر والعقل ذاته تعالى لا امر آخر مما دونها في الرتبة ولا
هما من حيث ذاتهما كما حقق في مقامه وقد اول الشارح كلامه الى معنى آخر حيث قال
ان الازلية تنافي الحركة والسكون وما يجري مجريهما ومن يجوز ذلك الاحتراز عن
التكثر في ذاته فكيف يجازف هذه المجازفة في التغير فاما الحركة والسكون في العقل
والنفس فانما يختص بابه الفعل والانفعال وذلك ان العقل لما كان موجودا كاملا
بالفعل قالوا هو ساكن واحد مستغن عن الحركة يصير بها فاعلا والنفس لما كانت
ناقصة متوجهة الى الكمال قالوا هي متحركة طالبة درجة العقل ثم قالوا العقل
ساكن بنوع حركة اي هو في ذاته كامل بالفعل فاعل يخرج النفس من القوة الى الفعل
والفعل نوع حركة في سكون والكمال نوع سكون في حركة اي هو كامل ومكمل غيره
فعلى هذا المعنى يجوز على قضية مذهبهم اضافة الحركة والسكون الى الباري ومن
العجب ان مثل هذا الاختلاف قد وجد في ارباب الملل حتى صار بعض الى ان باريهم
مستقر في مكان ومستو على مكان وذلك اشارة الى السكون وصار بعض
الى انه يجيء ويذهب وينزل ويصعد وذلك عبارة عن الحركة الا ان يحمل على معنى
صحيح لايق بجناب القدس حتى يحمل الحق وما قال في امر المعاد انه يقوم
العالم على الوجه الذي عهدناه من النفوس التي تشبثت بالطبايع والارواح التي

لعلو

تعلقت بالشبابك حتى يستغيث في آخر الامر الى النفس الكلية فيتضرع هي الى العقل
ويتضرع العقل الى الباري فيسبح الباري على العقل ويسبح العقل على النفس ويسبح
النفس على هذا العالم بكل نورها فيستضيء الانفس الجزئية وتشرق الارض والعالم
بنور ربها حتى يعاين الجزئيات كلياتها فيتخلص من الشبكة فيتصل بكلياتها و
يستقر في عالمها مسرورة محبورة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اقول
كلامه دال على بطلان هذا العالم ودثوره وزواله اذ قد بين في مقامه بالبرهان
ان وجود الاجسام لا يمكن بدون النفوس والارواح ويستفاد من كلامه الصائب
ما ورد في الشرايع الالهية وعليه العرفاء المليون والفضلاء المكاشفون من
كيفية رجوع الخلايق الى المبدأ الخلاق وثبوت القيمة الكبرى الموجبة لفناء
الكل حتى الافلاك والاملاك وبقاء الواحد القهار ومن هؤلاء فيثاغورس و
كان في زمن سليمان عليه السلام قد اخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم
الفاضل ذو الراي المتين والعقل المنير والفهم الثاقب كان يدعي انه شاهد
العوالم بحسه وحدسه وبلغ في الرياضة والتصفية الى ان سمع حفيف الفلك و
وصل الى مقام الملك وقال ما سمعت قط شيئا الذ من حركاتها ولا رايت شيئا ابهى
من صورها وهياتها وقوله في الالهيات ومبادي الموجودات وانها هي العدد معروف
عند القوم وقال ان شرف كل موجود بغلبة الوحدة وكل ما هو ابعد من الكثرة

م السادة

فهو اشرف واجل ونقل عنه انه قيل له لم قلت بابطال العالم قال لانه يبلغ العلة التي
من اجلها كان فاذا بلغها سكنت حركته اقول هذا الكلام وجيز في غاية البلوغ
والافاضة وكانه مستفاد من معدن الوحي والنبوة فقد دل على فنائه حدوث
العالم وزواله ونفاده وكذا دل بوجازته على فناء الكل ووقوع القيمة الكبرى كما
ظهر من كلام انباذقلس وكان فيثاغورس يقول ان ما في هذا العالم يشتمل على
مقدار يسير من الحسن لكونه معلول الطبيعة وما فوقه من العوالم ابهى واشرف و
احسن الى ان يصل الوصف الى عالم النفس والعقل فيقف فلا يطمع المنطق
وصف ما فيهما من الشرف والبهاء فليكن حرصكم واجتهادكم بذلك العالم حتى
يكون بقاؤكم بعيدا من الفساد والدثور وتصيرون الى عالم هو حسن كله وبهاء كله و
سرور كله وعز كله وحق كله ويكون سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة اقول
كلام صريح في ان هذا العالم قابل للفساد والزوال غير محتمل للبقاء والدوام و
كل ما هو كذلك فابتداؤه من عدم وانتهاؤه الى عدم ثم مما يدل على ان فيثاغورس
يذهب الى حدوث العالم انه كان خرنيوس وزينون الشاعر متابعين له على
رايه في المبدع والمبدع قالا الباري تعالى ابدع العقل والنفس دفعة واحدة
ثم ابتدع جميع ما تحتهما بتوسطهما تدريجا وفرد ما ابدعهما لا يموتان ولا يجوز
عليهما الفناء والدثور اقول معنى كلامهما ان هذا العالم قابل للدثور والفناء

لانه

لانه تدريجي الحصول متجدد الحدوث شيئا فشيئا واما العقل وكذا النفس من جهتها
الذي الى العقل فهما باقيان ببقاء الله لانهما متوسطان تحت طوارق الجبر و
واما جهة النفس التي الى الطبع فهي ايضا داثرة فانية ومن هؤلاء السادات العظام
والاباء الكرام سقراط الحكيم العارف الزاهد من اهل اثينه وكان قد اقتبس الحكمة
من فيثاغورس وارسلاوس واقتصر من اصنافها على الالهيات والاخلاقيات
واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الاخلاق واعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل
الى الجبل واقام في غار به ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الاوثان
فثوروا عليه العامة والجاوا ملكهم الى قتله فحبسه الملك وسقاه السم وقصته
معروفة فمن جملة اعتقاداته ان علمه تعالى وحكمته وجوده وقدرته بلا نهاية ولا يبلغ
العقل ان يصفها ولو وصفها لكانت متناهية فلا يلزم عليك ان تقول
انها بلا نهاية ولا غاية وقد بان الموجودات متناهية فيقال انما تناهيها بحسب
احتمال القوابل لا بحسب القدرة والحكمة والجود ولما كانت المادة لا تحتمل صورا
بلا نهاية فتناهت الصور لا من جهة بخل في الواهب بل القصور في المادة و
من هذا اقتضت الحكمة الالهية انها وان تناهت ذاتا وصورة وحدا و
مكانا الا انها لا تتناهى زمانا فاخرها من نحو اولها واذا لم يتصور بقاء الشخص
فاقتضت الحكمة بقاء النوع باستبقاء الاشخاص وذلك بتجدد امثالها لتحفظ

الشخص ببقاء النوع ويستبقي النوع بتغاير الاشخاص فلا يبلغ القدرة الى حد النهاية
ولا الحكمة تقف على غاية انتهى كلامه اقول انه دال على حدوث كل شخص جسماني
من اشخاص العالم لان جميعها مادية والعلة وهو عدم احتمال المادة الديمومة التشخصية
مشتركة في الفلكيات والعنصريات فجميعها قابل للزوال والدثور من حيث
هوياتها التشخصية واما بقاؤها بحسب الماهية والنوع فليس ذلك بقاء بالعدد
بل المعنى والحد على ان الماهية غير موجودة عندنا ولا مجعولة بالذات بل بتبعية
الوجود كما مر وقد مر ايضا ان القديم والحادث انما يراد بهما صفتان للوجود لانهما
متقابلان لا يجتمعان في شيء واحد ولا تقابل بين كون ماهية واحدة قديمة و
حادثة ومن هؤلاء الكبراء الحكماء اليونانيين افلاطن الالهي المعروف
بالتوحيد والحكمة حكي عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل ارسطاطاليس وثاوفرسطيس
وطيماوس انه قال ان للعالم صانعا مبدعا محدثا ازليا واجبا بذاته عالما بجميع
معلوماته على نعت الاسباب الكلية كان في الازل ولم يكن في الوجود رسم و
لا طلل الا مثال عند الباري كما نقلناه سالفا وحكي عنه ايضا انه ادرج الزمان
في المبادي وهو الدهر واثبت لكل موجود شخصا في عالم الاله فسميت تلك الاشخاص
بالمثل الافلاطونية والمبادي الاول والمثل عنده بسايط مبسوطات عنده
والاشخاص مركبات فالانسان المركب المحسوس جزئي ذلك الانسان المبسوط

المعقول

المعقول وكذلك جميع الصور المحسوسة المادية ولهذا قال الموجودات في هذا
العالم آثار الموجودات في ذلك العالم ولا بد لكل اثر من مؤثر مشابه نوع من المشابهة
اقول ونحن قد احيينا بعون الله رسمه في القول المثل واحكمنا براهينه وقومنا
بنيانه وشيدنا اركانه وابطلنا النقوض عليه والتشنيعات التي ذكرها على مذهبه
كل من اتى بعده الى وقتنا هذا تقربا الى الله وتشوقا الى دار كرامته ومحل انواره قال
وانما كانت هذه الصور موجودة كلية دائمة باقية لان كل مبدع ظهرت صورته
في حد الابداع فكانت صورة في علم الاول والصور عنده بلا نهاية ولو لم يكن الصور
معه ازلية في علمه لم يكن ليبقى ولو لم يكن دائمة بدوامه لكانت تدثر بدثور الهيولى
ولو كانت تدثر مع دثور الهيولى لما كان رجاء ولا خوف ولكن لما صارت الصور
الحسية على رجاء وخوف استدل به على بقائها وانما يبقى اذا كانت صورة
عقلية في ذلك العالم ترجو اللحوق بها وتخاف التخلف عنها قال واذا اتفقت
العقلاء على ان ههنا في الوجود حسا ومحسوسا وعقلا ومعقولا وشاهدنا بالحس
جميع المحسوسات وهي محدودة محصورة بالزمان والمكان فيكون مثلا عقلية مثل
انتهى اقول قد افادت كلماته الشريفة النورية اصولا حكمية حقة لطيفة
منها حدوث العالم الحسي بجميع صوره واعراضه اذ قد صرح بان كل صورة متعلقة
بالهيولى تدثر بدثور الهيولى فقد علم ان الهيولى شانها الدثور والعدم وان الصور

شانها التجدد والحدوث شيئا بعد شيء ولهذا ادرج الزمان في المبادي كما حكي عنه
بمعنى ان كل ما هو زماني الوجود كالصور الحسية فلا بد وان يكون عدم السابق منه
مقتضيا لوجود اللاحق فزوال وجود الصور السابقة مبدا بالذات لوجود الصور
اللاحقة ومن جعل من القدماء العدم من المبادي بالذات امكن ان يكون مراده ما ذكرنا
لان كل امر تدريجي الوجود يكون لضعف وجوده يتقوم وجوده بالعدم ويشوب
كونه بالفساد وبقاوه بالزوال وبهذا يتصف وجود كل فرد منه بعدم ساير الافراد
ويغيب عن كل جزء وكل حد ساير الاجزاء والحدود وكل منها يغيب عن الكل و
يغيب عنه الكل والكل عادم لنفسه مسلوب عن نفسه بوجه وكذا كل جزء عادم لنفسه
مسلوب عنها ومنها ان لكل صورة محسوسة صورة معقولة من نوعها وهي المسماة
بالمثل الافلاطونية التي قد عجزت العقلاء الذين جاؤا من بعده عن ادراك حقيقة المثل
النورية على وجهها والاذعان بوجودها خلا المعلم الاول فانه ربما مال الى صحة القول
بها في بعض كتبه وذكرها في الاكثر وقد ذكرنا لك انا قد صححنا وجودها واقمنا و
برهنا على اثباتها في كتبنا سيما في الشواهد الربوبية ومنها الاشارة منه الى
ان الصور الحسيات راجعة الى تلك العقليات صايرة اياها متحدة بها كاتصال
جوهر نفسنا بالعقل لنا مع ان احدهما داثرة والاخر باقية وكاتصال البدن بالنفس
حتى صار فعله فعلها مع كون البدن متبدلا لتحليل الحرارة الغريزية وغيرها والنفس

ماذ

باقية وذلك لما استند اليه بالخوف والرجاء الثابتين لبعض الصور الحسيات على
بقائها من جهة اتصالها ولحوقها بتلك الصور العقليات الدايمات فعلم ان
لها نشاتين داثرة حسية وباقية عقلية ومنها ان تلك الصور العقلية هي
بعينها صور علم الله دايمة بدوامه موجودة بوجوده وليست موجودات على حيالها
والا ان وجوداتها ممتازة عن وجوده ليلزم تعدد القدماء وذلك لانها كما
علمت مقهورة مطموسة تحت جبروته مستهلكة تحت كبريائه وعظمته ولهذا
المعنى قال الشيخ اليوناني ليس للمبدع الاول صورة ولا حلية ولا قوة لكنه فوق
كل صورة وحلية وقوة لانه مبدعها وقال ايضا ليس للمبدع الحق شيء من الاشياء
وهو جميع الاشياء لان الاشياء منه وقد صدق الافاضل الاوايل في قولهم مالك
الاشياء هو الاشياء كلها اذ هو علة كونها بانه اوجدها فقط وعلة شوقها اليه
وهو خلاف الاشياء كلها وليس فيه شيء مما ابدعه ولا يشبه شيء منه فلذلك صار محبوبا
معشوقا يشتاق الصور العالية والسافلة فالعاشق يحرص على ان يصير اليه
ويكون معه انتهى اقول هذا الكلام بعينه هو الذي اثبتناه بالبرهان في الفصل
التاسع عشر ونقل عن افلاطن ايضا انه كان يحيل وجود حوادث لا اول لها الا انك قلت اذا
حادث فقد اثبت الاولية لكل واحد وما ثبت لكل واحد يجب ان يثبت للكل و
قال ايضا ان صورها لا بد وان يكون حادثة لكن الكلام في هيولاتها وعنصرها فاثبت

عنصر اقبل وجوده فظن بعض العقلاء انه حكم عليه بالازلية والقدم اقول الحجة
قوله الاول فليس بناء على قياس حكم الكل المجموعي على حكم كل فرد بل غرضه ان الحدوث
لما كان هو المسبوقية بالعدم فاذا كان الكل مسبوقا بالجزء والجزء مسبوقا بالعدم
فكان الكل مسبوق بالعدم اذ المسبوق بالمسبوق بالشيء مسبوق بذلك الشيء لا محالة
واما ما اشتهر بين الجمهور من ان تعاقب الاشخاص لا الى حد يوجب وجود التسلسل
في المتعاقبات الى غير النهاية فهذا من سخيف القول كما مر فان وقوع مثل التسلسل
بمجرد الفرض ويستحيل ان يتحقق في الواقع اذ المتحقق في الواقع لا يكون الا اجتماعهما
والترتيب بين شيئين او اشياء متوقع على وجودهما او وجودهما معا وقد علمت ان
الصور المتعاقبة لا اجتماع لها في الوجود بل لا تعدد كما في المتدرجات الاتصالية
من الصور الفلكية والبسيطة ونسبة البقاء والاستمرار لها من جهة وجودها العقلي
واما قوله الثاني فليس مراده ان العنصر اي الهيولى امر متحيل مستمر الوجود بالعدد لان
الهيولى كما مر امر بالقوة ولا تحصل لها الا بالصور وان لها وحدة جنسية مستمرة و
لها وحدات متبدلة بتبدل الصور فليس ههنا موجود قديم بالهوية الوجودية
لا في الصور ولا في المواد كما علمت غير مرة ويحكى عنه ايضا في سوال الغر طيماوس شبه
امر في اوايل الرسالة ما الشيء الذي لا حدوث له وما الشيء الحادث وليس بباق وما الشيء
الموجود بالفعل وهو ابدا بحال واحد وانما يعني بالاول وجود الباري تعالى وبالثاني وجود

الاكوان

الاكوان الزمانية التي لا تثبت على حالة واحدة وبالثالث وجود المبادي العقلية و
الصور الالهية والانوار الجبروتية والعلوم القضائية التي لا تتغير ويحكى من
اسولته ايضا ما الشيء الكاين ولا وجود له وما الشيء الموجود ولا كون له يعني بالاول
الزماني والزمانيات المتجددة الاكوان لانه لم يوهلها لاسم الوجود وقد علمت
انها ضعيفة الوجود مشوبة بالعدم ويعني بالثاني الصور المفارقة التي هي فوق الزمان
الحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود لكونها باقية عند الله وقد حكى ارسطاطاليس
في مقالة الالف الكبرى من كتاب ما بعد الطبيعة ان افلاطن كان يختلف في حداثته
الى اقراطولس فكتب عنده ما روى عنه ان جميع الاشياء المحسوسة فاسدة وان
العلم لا يحيط بها ثم اختلف بعد الى سقراط وكان من مذهبه طلب الحدود من دون النظر في
طبايع المحسوسات وغيرها فظن ان نظر سقراط في غير الاشياء المحسوسة لان
الحدود ليست للمحسوسات ولا يكتنها ولها لانها انما تقع على الاشياء دايمة كلية
فسمى ذلك باسم افلاطن الاشياء الكلية صورا لانها واحدة وراى ان الوجود في
المحسوسات لا يكون الا بمشاركة الصور اذ كانت الصور رسوما وخيالات
لها متقدمة عليها اقول قوله ان جميع الاشياء المحسوسة فاسدة شامل
للاثيريات والعنصريات فكان مذهبه حدوث الافلاك وما تحتها جميعا و
المراد من الاشياء الكلية في قوله وعند ذلك باسم افلاطن الاشياء الكلية صور

آخره هو المعاني والمهيات الكلية للمحسوسات والضمير لانها واحدة راجع الى
الصور معناه ان افلاطن لم يعتقد لها وجودا ولا هوية ولا صورة بان ائتها لما
مر من ان المعاني الكلية لا تحقق في الخارج الا تبعية الاشخاص وليست لها وحدة
عددية مستمرة فيما يتكثر اشخاصها وقوله لا يكون الا بمشاركة الصور اراد بها الصور
العقلية التي تكون للمحسوسات بتلك الصور المفارقة لانها متقدمة عليها في
الوجود لا المفهومات الكلية الذهنية التي لا وجود لها بالذات **حكاية فيها درايتم**
اعلم ان الشيخ ابا الحسن العامري حكى في كتابه المعروف بالامد على الابد وكان يذكر فيها
احوال الفلاسفة الاوايل واما افلاطن فقد اختلف في مذهبه في قدم العالم وحدوثه
فانه قال في انولوطيقوس اي تدبير البدن ان العالم ابدي غير مكون دايم البقا وتعلق
بهذا القول ابرقلس وصنف في ازلية العالم لكتابه المعروف الذي ناقضه يحيى النحوي ثم ذكر
في كتابه المعروف بطيماوس ان العالم مكون وان الباري قد صرفه من لا نظام الى نظام
وان جواهره كلها مركبة من المادة والصورة وان كل مركب معرض للانحلال ولولا ان
تلميذه ارسطاطاليس شرح مغزاه من اختلاف القولين لحكم عليه بالحيرة فيه الا انه بين
ان لفظ المكون مرتبة تحت الاسماء المشتركة وان مقصوده من قوله ان العالم ابدي
غير مكون اي لم يسبقه زمان ولم يحدث عن شيء وان مقصوده من قوله انه مكون وقد
صرفه الباري من لا نظام الى نظام ان وجوده متعلق بالصنعة الناظمة للمادة بالصورة

وليس

يعني الصور المفارقة عن المادة
المجردات

وليس ولا واحد منهما من وجوده بذاته دون الايجاد لصاحبه فالمبدع لهما اوّل قد
اوجدهما على التاحيد النظمي فهو اذن بفعل الابداع صارف للعالم من لا نظام الى
نظام اي من العدم الى الوجود ولقد صرح بذلك في كتاب النواميس فقال ان للعالم
بدوا علّيا وليس له بدو زماني اي له فاعل قد اخترعه لا في زمان فان فاحص ان تفحص
عن سبب اختراعه اجبناه بانه مريد بذاته لافاضة وجوده وقادر على ايجاده اراده ومثله
قد اطلق القول في كتابه المنسوب الى فاذن بان جوهر النفس غير مكون وانه لا يموت و
قال في كتاب طيماوس انه مكون وانه ميت غير دايم وقد تولى ارسطاليس تبيين
مراده من اختلاف اللفظين فقال عنى بقوله الاول انه لم يتدرج في حدوثه من القوة الى
الفعل لكنه احدث دفعة ثم لم يعرض له موت في دار المثوبة وعنى بقوله الثاني انه معرض
للاستحالة من الجهل الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة وان ذاته ما كان ليفوز بالبقاء
الابدي لولا استبقاء الله تعالى على الدوام وقد صرح بذلك في كتاب طيماوس فقال
ان خالق الكل اوحى الى الروحانية الجواهر بانكم لستم بانكم لا تموتون ولكني استبقيتكم بقوتي
الالهية انتهى كلام العامري واقول فيه مواضع مواخذات حكمية والطار
فلسفية الاول ان ما حكاه من ارسطاطاليس في التوفيق بين كلامي الاولين غير
مرضي فان ما ذكره في تاويل الاول وان صح اذا اريد بالعالم عالم المفارقات المحضة
الا ان ما نقله عنه في تاويل القول الثاني الذي قاله في كتاب طيماوس غير محتمل فان

قوله صدر و البارئ من لا انتظام الى نظام صريح في التقدم الزماني ولا يجوز حمله على مجرد التعلق
بالفاعل الذي مناط الامكان الذاتي دون القوة والاستعداد او كيف وليس
للمهية مرتبة سابقة على الوجود حتى يصح ان يقال انها انصرفت من العدم الى الوجود
لا سيما وقد علل افلاطن حدوث العالم بكون جواهره مركبة من المادة والصورة
وبكون كل مركب معرضا للانحلال وذلك المعنى اي الحدوث الذاتي والتعلق بالغير لا
اختصاص له بشيء من الممكنات بسيطا كان او مركبا وقد علم من كلامه ان للجواهر المادية
المركبة خصوصية في الحدوث ليست للمفارقات البسيطة وان لها حظا من
الكون وايضا قوله كل مركب معرض للانحلال صريح في ان العالم سيخرب ويهلك
ويضمحل ولو كان قديما لم يكن قابلا للفساد والثاني ان ما حكاه من الفيلسوف في
باب تاويل كلام استاده في قدم النفس وعدم كونها مائية ان المراد منه انها لم
تتدرج في الحدوث وانها باقية بعد الحدوث في الدار الآخرة وفي حدوثها و
سونها انها معرض للتغير في الصفات وانها باقية باستبقاء الله اياها لا بذاتها غير
معتمد عليه بل المعتمد خلافه اما في الاول فلوجهين الاول ان مذهب هذا
الفيلسوف كما نقل عنه تلميذه اسكندر الرومي ان النفوس الساذجة الواقعة
في مقام العقل الهيولاني داثرة هالكة غير باقية بعد البدن وقد مال اليه الشيخ
الرئيس في بعض رسائله وان انكره في ساير كتبه وتصانيفه زاعما انها صورة

مجردة حدوثا وبقاء وما لا مادة له لا يجوز عليه الفناء والفساد والثاني ان الحق
كما بين في مقامه ان جوهر النفس من حيث تعلقه بالبدن وكونه صورة مقومة
له امر تدريجي الحدوث كساير الصور الجسمية فهي مادية الحدوث مجردة البقاء عند
استكمالها واتحادها بالعقل المفارق وانها متدرجة النحو من حدود الجمادية
والنباتية والبهيمية الى درجات الانسانية وهلم الى ما فوقها وتحقيق ذلك
يقتضي خوضا عظيما في علم النفس لا يسع المقام بسطه واما الثالث فلغاية بعده عن
صورة اللفظ وسياق الكلام ولمخالفته مذهب الفيلسوف في النفوس الناقصة
من انها هالكة حسبما نقل عنه اسكندر فالحق في التوفيق بين كلاميه غير ما حكاه
عن الفيلسوف وسنذكره عندي في ذلك الثالث انا قد بينا بالبرهان ان العالم
بجميع جواهره الجسمية السماوية والارضية حادث تدريجي متكون فاسد لا يبقى زمانين
وبينا ايضا ان العالم الربوبي عظيم جدا مشتمل على جميع صور ما في هذا العالم على
وجه اعلى واشرف وانها باقية ببقاء الله لا بابقائه اذ فرق بين الشيء
باقيا ببقائه تعالى وبين كونه باقيا بابقائه فما عند الله من الصور الالهية لو ثبت
ان لها مهية غير الانيات والهويات الوجودية فصحيح انها باقية ببقائه تعالى
اياها واما اذ ثبت انها وجودات محضة متعلقة الذوات بجاعلها التام وانها
عشاق الهية ووجوه ناظرة الى ربها وعيون باصرة وجه ربها متفانية في

الشدة والضعف والقرب والبعد فليس تتصور لها بقاء غير بقائه وذا مع
ثبوته بالبرهان ووضوحه عند العرفان مما خفى تحقيقه الا على الراسخين في العلم
بكيفيته الالهية فعليك بالتجريد والتصفية كى تلحق بهم وتدرك غورهم فاذا تقرر ذلك
فالصواب في التوفيق بين كلام افلاطون ان يحمل مراده من العالم حيث قال انه ابدى
غير مكون على عالم الصور الالهية والعلوم القضائية وحيث حكم بانه مكون وان
البارى حركه من لانظام الى نظام فالمراد منه عالم الاكوان الحسية لانها مادية منتظمة
الوجود من المادة والصورة على الوجه الذى اومانا اليه من ان تشخصات كل منهما
حادثة مسبوقة بالعدم الزمانى الرابع ان المعلوم من كلمات هذا الفيلسوف الكبير تقبله
ان شاء الله مذهبه يوافق مذهب استاده في باب حدوث هذا العالم وبقاء العالم
الربوبى فما حكاه عنه هذا الشيخ يشبه ان يكون قولا ملفقا مختلقا لمعرفة بعض
عوام الفلسفة ومن لم يبلغ مقام الراسخين فيها ولم يدرك شيئا وهم الخامس ان
الصواب في التوفيق بين كلامى افلاطن في قدم النفس وحدوثها ان يقال ان
للنفوس الانسانية بعد هذه النشاة الاولى نشاتان اخرويتان احديهما عقلية
محضة وهى للمقربين واهل الكمال العلمى والاخرى مثالية منقسمة الى جنة السعداء
وهى على طبقاتها لاصحاب اليمين واهل السلامة واهل الكمال العلمى والى جحيم الاشقياء
وهى على دركاتها لاصحاب الشمال واهل السلاسل والاغلال من التعلقات فاراد

بموت

بموت النفس عندما حكم بانها يموت فقدان حيوتها العقلية وبطلان استعدادها
لتحصيل السعادة الاخروية وسلب قواها عنها في السمع والبصر والفؤاد كما قال
سبحانه انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله وما انت بمسمع من في القبور
واراد بحيوتها عندما حكم بانها لا يموت حيوتها العقلية وايضا حيثما قال ان جوهر
النفس غير مكون اراد بها جوهرها العقلى وصورتها التى هى عند الله في مقعد صدق و
هى غير مكونة البتة وحيثما قال انه مكون اراد به جوهرها الطبيعى وصورتها التى تعلقت
بالبدن وقد مر ان كل صورة مادية مكونة ومن هؤلاء الاسلاف الكرام المعلم
الاقدم والفيلسوف الاعظم ارسطاطاليس قد ذكرنا في الفصل الخامس من كلامه
ما هو نص على انه لا يمكن ان يكون جرم من الاجرام ثابتا قائما الان من طبيعته السيلان
والفساد فقد انكشف من كلامه ان لا شئ من الجواهر الجسمانية بقديم عنده وما دل
على انه غير قائل بالحدوث التدريجى للجواهر الجسمانية هو ما حكاه عن استاده افلاطن
الشريف في كتابه المعروف باثولوجيا حيث قال فرق افلاطون بين العقل و
الحس وبين طبيعة الانيات الخفية وبين الاشياء المحسوسة وصير الانيات
الخفية دائمة لا تزول عن حالها وصير الاشياء الحسية داثرة واقعة تحت الكون و
الفساد فلما فرغ عن هذا التمييز بدا وقال ان علة الانيات الخفية التى لا اجرام لها
والاشياء الحسية ذوات الاجرام واحدة وهى الانية الاولى الحق ثم قال ان البارى

الاول الذي هو علة الآنيات العقلية الدايمة والآنيات الحسية الدائرة هو الخير المحض
الخير لا يليق شيء من الاشياء الا به وكل ما كان في العالم الاعلى والعالم الاسفل خير
فليس ذلك من طباعهما ولا من طباع الآنيات العقلية ولا من طباع الآنيات الحسية
لكنهما من تلك الطبيعة العالية وكل طبيعة عقلية او حسية منهما بادية فان الخير
انما ينبعث من الباري في العالمين ثم قال ان الآنية الاولى الحق هي التي تفيض على
العقل الحيوة اولا ثم على النفس ثم على الاشياء الطبيعية وهو الباري الذي هو
خير محض انتهى كلام هذا الفيلسوف ناقلا عن استاده وقال في موضع آخر من كتاب
اثولوجيا ان الاشياء العقلية يلزم الاشياء الحسية والباري لا يلزم الاشياء العقلية
والحسية بل هو ممسك لجميع الاشياء غير ان الاشياء العقلية هي آنيات خفية لانها
مبتدعة من العلة الاولى بغير وسط واما الاشياء الحسية فانها آنيات داثرة
لانها رسوم الآنيات الخفية ومثالها وانما قوامها ودوامها بالكون والتناسل
كي تبقى وتدوم تشبها بالاشياء العقلية الثابتة الدائمة اقول معنى ما ذكره من
لزوم العقليات للحسيات وعدم لزوم الباري الاشياء وكون الثابت له
امساكا للكل والفرق بين اللزوم والامساك هو ان لكل طبيعة نوعية دائرة
صورة عقلية ثابتة هي المقومة لها وذات عناية بها وهي متعددة حسب تعددها
النوع والباري احدي الذات نسبة ذاته الى الكل نسبة واحدة قيومية وانما

العقليات

العقليات جهات قيومية ومكثرات فيض وجوده من غير اختصاص له بواحد دون
واحد ولهذا فرق بين نسبته الى الاشياء ونسبة ساير العلل الى معاليلها بان كلا
منها يلزم معلوله بخصوصه والباري لا يلزم شيئا من انواع العقليات والحسيات
بخصوصه بل هو الجامع للكل الحافظ لها عن الفناء الممسك لرباطها عن الانفصام على
تفاوت مقاماتها في البقاء والقوام حيث ان العقليات المحضة يبقى ببقاء الذات
الاحدية والحسيات انما يبقى بتلاحق الامثال والاشياء ولقاء التدريج في الحدوث
وتشابك الوجود بالعدم فقوله انما قوامها ودوامها بالكون والتناسل اراد بالكون
الوجود التدريجي على نعت الاتصال كما في الفلكيات وبالثاني التعاقب في الكون
على نهج الانفصال كما في العنصريات من الطبايع المتكثرة التشخصيات مثل انواع
الحيوان والنبات ومن الشواهد الدالة على ان هذا الفيلسوف الاعظم كان يرى
ويعتقد حدوث العالم اني قد وجدت كلمات دالة على غير ما هو المشهور منه في السنة
الجمهور وغيرها نقله ثامسطيوس واعتمده الشيخ الرئيس في هذه المسئلة وهو
انه قال الاشياء المحمولة يعني بها الصور الجسمانية فليس كون احدهما من صاحبه
بل يجب ان يكون بعد صاحبه فيتعاقبان على المادة فعلم بان ان الصورة تبطل
وتدثر واذا دثرت فمعنى وجب ان يكون له بدو ولان الدثور غاية وهو احد الحاشيتين
دل على ان حاشيا جائيا به فقد صح ان المكون حادث لا من شيء وان الحامل لها غير

ممتنع الذات عن قبولها وحلة اباها وهي ذات بدو وغاية يدل على ان حاملها ذو بدو و
غاية وانه حادث لا من شيء ويدل على محدث لا بدو له ولا غاية لان الدثور اخر والاخر
ما كان له اول فلو كانت الجواهر والصور لم تزل لا في غير جائز لان الاستحالة دثور الصورة
التي بها كان الشيء وخروج الشيء من حد الى حد ومن حال الى حال يوجب دثور الكيفية و
تردد المستحيل في الكون والفساد يدل على دثوره وحدوث احوال يدل على ابتدائه و
ابتداء جزء يدل على بدو كله واوجب ان قبل بعض ما في هذا العالم للكون والفساد ان
يكون كل العالم قابلا له وكان له بدو لا يقبل الفساد واخر يستحيل الى كون فالبدو و
الغاية يدلان على مبدع وذكر انه قد سال بعض الدهرية ارسطاطاليس وقال اذا كان
الباري تعالى لم يزل ولا شيء غيره ثم احدث العالم فلم احدثه فقال له لم غير جائزة عليه لان
لم يقتضي علة والعلة محمولة فيما هي علة عليه من معلول فوقه ولا علة فوقه وليس بمركب
فيحمل ذاته العلل فلم عنه منفية فانما فعل ما فعل لانه جواد فقيل فيجب ان يكون فاعلا
لم يزل لانه جواد لم يزل قال معنى لم يزل لا اول له وفعله يقتضي اولا واجتماع ان يكون ما لا
اول له وذو اول في القول والذات محال متناقض فقيل له فهل يبطل هذا العالم قال
نعم قيل فاذا ابطله يبطل الجود قال يبطله ليصوغه الصيغة التي لا تحتمل الفساد لان
هذه الصيغة تحتمل الفساد وتمت كلمات الشيخ النورية وكان روح القدس نفث
في روعه اول الفطنا معاشر اهل اليقين واولياء الحكمة والدين هل اتى احد بعده

الحكماء

الحكماء والمتكلمين بمثل هذا الكلام المحكم المتين في باب حدوث العالم وكيفية
ارتباطه بالمبدع الحق من غير تغير في ذاته او ارادته او في شيء من صفاته الحقيقية و
الاضافية **تفسير وتذكير** ان في كلامه اشارات لطيفة وتحقيقات شريفة لجلالها
يفتقر الى التبيين ويخفى على بعض الناظرين فنريد ان نشرحها توضيحا للمرام و
تحقيقا في المقام وتنبيها عليها الافهام وصونا لها عن مزال الاقدام فقوله
فليس كون احدهما من صاحبه اشارة الى ان الصور السابقة من حيث تخصيصها ليست
علة للصورة اللاحقة لان علة الوجود والقوام لا بد وان لا ينفك عن وجود ما تتقوم
به فكل ما يكون متقدما بالزمان على شيء فلا يكون علة مقومة له وقوله واذا دثر بمعنى
وجب ان يكون له بدو ولان الدثور غاية اثبات لمعنى الحدوث والمسبوقية بالعدم
للصور السابقة من جهة دثورها وانتهائها الى اللاحقة وقوله ان المكون حادث
لا من شيء اشارة الى التمييز بين ما منه الشيء وما به الشيء ولا يمكن ان يكون احدهما هو
الاخر بعينه لان ما منه الشيء يجب ان يفارقه الشيء وما به الشيء يجب ان يجامعه
لان الاول سبب زماني معد والاخر سبب زماني مقوم فكل حادث يجب ان يكون
حدوثه بشيء لا من شيء فقط لان الشيء الذي يتوهم انه منه حدث لا يجوز ان يكون
حدث لانه قد بطل عند حدوثه فكيف يكون الباطل سببا موجدا للشيء فكل
حادث يحتاج الى موجد لا يكون تحت زمان ولان كل زماني فلا يوجد الاشياء بعد

شيء وكما انه يوجد شيئا فشيئا فكذلك ينعدم شيئا فشيئا فهو ابدا لا يخلو عما بالقوة
وما بالقوة لا يكون سببا لاخراج الشيء من القوة الى الفعل ولذا قال ويدل على
حدوث لا بد وله ولا غاية لكونه خارجا عن افق الزمان واما قوله واوجب ان
قبل بعض ما في العالم للكون والفساد ان يكون كل العالم قابلا له معناه ان الكل
مما يتقوم وجوده بوجود الجزء فاذا كان جزؤه كائنا فاسدا كان الكل اولى بالفساد
والحدوث بعد العدم من جزئه وهو ظاهر سيما في الكل والجزء الزمانيين فان وجود
الكل الزماني بهويته الكمية الاتصالية لا يجامع وجود شيء من اجزائه حتى الجزء الاخير
واذا وجد جميع الاجزاء فقد انقضى وجود الكل بانقضائها فلا اجتماع له مع الاجزاء
الا في الوهم فلا كلية لمجموع الزمانيات في الخارج بل هي فاسدة داثرة بنفاد
كل جزء ودثوره وما قيل ان لمجموع الزمان والزمانيات بهوياتها الكمية الاتصالية
وجود في الدهر فالجواب ان المجموع بها عدم في الدهر من جهة عدم اجزائها لان كل
جزء كما انه موجود في وقت فكذلك معدوم في جميع الاوقات على الوجه الذي حققناه
من ان كل جزء من المتصل المقداري معدوم عن الكل قوله من لم يزل لا اول له وجعل
ينقضي اولا الى اخره اراد بالفعل ما هو تحت مقولة ان يفعل وهو التاثير وغرض
الفيلسوف ان وجود الصور الجسمانية تدريجي الحدوث والفعل التدريجي لا يكون
بقاؤه زمانين فضلا عن كونه باقيا لم يزل بل وجوده يلزم زواله وكونه يستدعي

فساده

فساده وقوله بطل المصوغ الصيغة التي لا تحتمل الفساد اشارة الى ان لكل صورة جسمانية
غاية عقلية ترجع اليها وتصير اياها وتتحد بها فقد علم مما ذكره كيفية حدوث العالم
عن الباري الصانع ولمية بواره وخرابه وعلم منه كيفية خراب الافلاك وطي السموات
كطي السجل للكتب كما قال تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
وذلك لان الباري عز اسمه محرك الافلاك ومدير السموات ومدبرها فاعل حكيم مختار في
فعله وصنعه وكل فاعل مختار فله في فعله غرض وغاية وهي عناية الله السابقة على
وجود افاعيله وصنايعه قبل اظهار فعلها وصنعتها وهي اصل العناية السابقة
يفعل الفعل فاذا بلغ فعله الى غرضه وغايته قطع الفعل البتة وامسك عن العمل
بالضرورة فاذا كان محرك الافلاك وموجد الآنيات الزمانية نال غرضه في تحريكها
فسبيله ان يمسك عن تحريكها واذا ادارتها واذا امسك محرك الافلاك ومشوق
الافلاك عن التحريك والتشويق وقفت السموات عن الدوران والكواكب عن
المسير وخرب العالم وفسد النظام وبطلت الفصول وانقطعت المواليد والحرث
والنسل وذلك لان قوام هذا العالم بالحركة التي هي صورة المكونات فاذا بطلت
بطل الجميع ونفد بنفاده الاكوان وقامت القيمة فقد تبين بما ذكره بوار العالم
وخراب الافلاك وطي السموات والارضين ودثور الخلائق اجمعين ان في هذا
لبلاغا لقوم عابدين وهم وتحصيل وربما يتوهم متوهم ان الفاعل الحكيم

لعلم لم يبلغ الى غرض ولم ينل بغيته فيراح توهم بانه اذا علم المحرك انه لايبلغ غرضه
فسبيله ايضا ان يمسك عن الفعل وايضا ما لايمكن الوصول اليه لايمكن ان يكون
غرضا وقد فرضناه غرضا اللهم الا على سبيل الخطا والجزاف وشئ منهما لايكون
دايميا ولايكون في الافاعيل الطباعية والمفروض ان محرك الافلاك ومكون
الاكوان الزمانية فاعل حكيم وفعل الحكيم لايكون بلا غاية ثابتة فلوجود الافلاك
وساير المكونات غاية يعتقدونها علما وينتهي اليها عينا واما ما ذهب اليه الحكماء من
ان البارى ليس لفعله غرض فليس بمناقض لما نحن بصدده اذ ذاك في الفعل المطلق
والتاسيس والليس المطلق وكلامنا في الفعل الزماني والغرض الذي يعود الى ذات
الفعل لا الى ذات الفاعل وبهذا يندفع ايضا ما يتوهم من التناقض في كلام الفيلسوف
حيث نفى الغاية وذكر ان لم تجز جائزة عليه ثم اثبت الغاية حيث ذكر ان الفاعل
يبطل هذا العالم المصوغ صيغة لايحتمل الفساد في مستحيل فقد ثبت وتحقق مما
نقلناه اوتركناه من كلمات هذا الفيلسوف الاعظم ونصوصه واشاراته و
تصريحاته وتلويحاته انه كان مذهبه حدوث العالم واعتقاد بواره وخراب
السموات وزوالها وان لله ميراث السموات والارض فاذن ما زعم الجمهور
واشتهر بينهم انه كان يعتقد قدم العالم فلعل مراده قدم ما سوى عالم الاجسام
والجسمانيات فلا يخلو حاله في ذلك من احد امرين فاما ان كان يريد من العالم العقلي

علم

عالم الالهية والقدرة ومراتب القيومية وهي جملة الصور العقليات المحضة
التي توجد ما غير ذات الاحدية التي سماها بعض العرفاء غيب الغيوب ومقام الاحدية
فيكون القول بقدمها حقا وصوابا ولا يلزم تحقق القدماء اذ هي غير زايدة على
مراتب الالهية ومقامات الربوبية والعلوم الربانية واما ان كان مراده
تريد العقول الفعالة من حيث اعتقاده ان لكل منها ذاتا مستقلا ووجودا
مباينا لوجود الاول لا انها مراتب علم الله وشئون ذاته الاحدية فيكون القول
بقدمها باطلا وخطا لكونها مطموسة تحت سطوع نور الاحدية كما قال عز اسمه
والملك يومئذ لله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لكن الظن بهذا
الفيلسوف هو المعنى الاول كما يشهد به غزارة علمه ونفوذ فهمه في ساير الامور
الاعتقادية ولتوسطه بين طرفين مثل افلاطون وفرفوريوس والظن بهما
كذلك بل هو بحيث لايفوته سابقه ولايدرك لاحقه والله اعلم بسراير القلوب
ومما يدل على ان هذا الفيلسوف يرى ويعتقد حدوث العالم الجسماني ودثوره ما
قال في الميمر السابع من كتاب معرفة الربوبية وهو انما قبلت الهيولى الصورة
من النفس حدثت الطبيعة ثم صارت الطبيعة قابلة للكون اضطرارا وانما صارت
الطبيعة قابلة للكون لما جعل فيها من القوة النفسانية والعلل العالية ثم
وقف فعل العقل عند الطبيعة ومبدا الكون فالكون آخر العلل العقلية

المصورة واول العلل المكونة ولم يكن يجب ان يقف العلل الفواعل المصورة
للجواهر فيبل ان باية الطبيعة وانما ذلك كذلك من اجل العلة الاولى التى تصير
الآنيات العقلية عللا فواعل مصورة للعرضية الواقعة تحت الكون والفساد
وان العالم الحسى انما هو اشارة الى العالم العقلى والى ما فيه من الجواهر العقلية وتبيان
قواها العظيمة وفضائلها الكريمة وخيرها الذى يغلى غليانا ويفور فوز انتهى او
قوله صورة الطبيعة وحيزتها قابلة للكون اضطرارا معناه انها جعلتها جعلا
بسيطا وهى فى ذاتها قابلة للكون لا انها لم تكن فى ذاتها كذلك كما فى المجعول
بالجعل المركب يا هيك بقوله اضطرارا يعنى صفة الكون والفساد من ضروريات
هوية الصورة الطبيعية من غير جعل يتخلل بين الطبيعة وبينها وقوله انما صارت
الطبيعة قابلة للكون الى آخره اشارة الى لمية تجدد الطبيعة واستمرارها وهما
صفتان متقابلتان بوجه لما فيهما من شوب قوة وفعلية ودثور وثبات وذلك
لان فى اسبابها وعللها شبه هاتين الصفتين فالقوة النفسانية مما يلزمها
الشوق والنقص وطلب الكمال والشوق نوع حركة يناسب تجدد الطبيعة
ودثورها والقوة العقلية التى للعلل العالية مما يلزمها الثبات والدوام والكمال
والتمام وهى يناسب دوام تجدد الطبيعة وبقاء اتصالها بتوارد الامثال وقوله
وتفرقت فعل العقل عند الطبيعة الى آخره اشارة الى ضربى التاثير وهما الابداع و

التكوين

التكوين فتبين ان سلسلة الابداع انتهت الى الطبيعة وان سلسلة
التكوين اخذت منها لما فى وجود الطبيعة من جهتى الثبات والتجدد لما علم مرارا
ان التجدد فيها عين الاستمرار لكونه صفة ذاتية لها اضطرارية ولهذا يكون ابداع
التغير والاستحالة الذاتية فالتجدد لها ذاتية ولغيرها عرضية بواسطتها فثبت
من ذلك ان الطبيعة آخر الابداع واول الكون وهاتان الحيثيتان لا يوجبان
تركيبا فى ذاتها بحسب الخارج لما مر مرارا ان ثباتها ثبات التجدد والانقضاء على
قياس فعلية القوة فى الهيولى وتوحيد الكثرة فى العدد وغير ذلك من الامثلة
ثم ان هذا الفيلسوف عبر عن علل التكوين بالعلل العرضية لما ظهر من قوله
سابقا ان حدوث الصورة اللاحقة ليس من الصورة السابقة بل من سبب
عقلى نسبته الى المتجددات الزمانية نسبة واحدة غير زمانية وانما يطلق
اسم العلة على الصورة السابقة بالزمان بمعنى آخر فقد اصطلح على العلل الاصلية
المترتبة بالذات بالسلسلة الطولية وعلى المعدات المترتبة بالزمان بالعلل
العرضية وقوله ان العالم الحسى انما هو اشارة الى العالم العقلى معناه ان كل
صورة حسية فى هذا العالم فلها صورة عقلية فى عالم الالهية وفى علم الله كما
هو رأى كثير من الاقدمين مثل افلاطون وسقراط وغيرهما وسموها بالصور المفارقة
وقد اشرنا الى تحقيقها مرارا تتمة فى ذكر اعتقادات الفلاسفة

القدماء غير هولاء الاصول الاعلون في حدوث العالم فمنهم زينون الاكبر ابن الذين هم
فارس وقد نقلنا منه قولا صريحا في حدوث العالم ودثور المادة والصور
جميعا ومن اقواله ايضا ان المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر
وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التي فيه من حد الابداع غير
متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فالعوالم يتجدد في كل حين ودهر
ثم ذكر وجه التجدد بما نقلنا منه اولا اقول المراد من عدم التناهي في
قوله فان علمه غير متناه والصور التي فيه من حد الابداع غير متناهية ليس عدم التناهي
بالفعل لاستحالته بالبرهان ولهذا الفيلسوف برهان مخصوص على هذا المطلب
في رسالة له ونقله بعض افاضل المتاخرين في تصانيفه وتلك الرسالة موجودة في
عندنا الآن بل المراد منه عدم التناهي بالقوة كما في المتصلات الجوهرية و
العرضية فيكون المقصود منه حدوث الصور الحسية وافرادها المتصلة في الوجود
المتجددة شيئا فشيئا لا الصور العقلية المترتبة لانها متناهية العدد بالضرورة
طولا وعرضا وقال ايضا ان الشمس والقمر والكواكب يستمد القوة من جوهر
السماء فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم ايضا ثم هذه الصور كلها بقاؤها ودثورها
في علم الباري سبحانه والعلم يقتضي بقاؤها ودائما وكذلك الحكمة والباري قادر على
ان يغني العالم يوما ان اراد اقول مراده من جوهر السماء هو جوهرها العقلي
وهو

وهو صورة ذاتها في علم الله وهو وجهها الذي يلي الحق والتغير انما يلحق السماء
بحسب وجهها الذي يلي المادة وهو الطبيعة لانها فانية وهو باق كما قال سبحانه
كل شيء هالك الا وجهه ومراده في قوله والباري قادر على ان يغني العالم يوما ان
اراد هو يوم القيمة ومقداره خمسين الف سنة وقد مر من الاصول والمبادي
الصحيحة ما يستفاد بقوتها تفسير كلامه وتوضيح مرامه فلا نعيده حذرا من
التطويل ومن الفلاسفة القايلين بحدوث العالم ذيمقراطيس وشيعته
الا ان له رموزا وتجوزات قل من اهتدى اليها واطلع على مغزاه ولهذا
اشتهر منه اشياء بظاهرها يناقض الاصول الحكمية مثل القول بالاتفاق و
البخت وكان هذا الفيلسوف انما انكر العلة الغائية في فعل واجب الوجود
لاغراض حكيم الا وهو معترف بان ما لا يجب لا يكون بل هو وغيره قد
يسمون الامور اللاحقة بالمهيات لا لذواتها بل لغيرها اتفاقية وحينئذ
يصح ان الوجود لمهية العالم اتفاقي قال بعض العلماء ان هذا الرجل تصفحنا
كلامه القدر الذي وجدناه وقد دل على قوة سلوكه وذوقه ومشاهدات
له رفيعة قدسية واكثر ما نسب اليه افتراء محض بل القدماء لهم الغاز و
رموز واغراض صحيحة ومن اتى بعدهم رد على ظواهر رموزهم اما الغفلة او
تعمدا لما يطلب من الرياسة انتهى فمن كلماته المرموزة انه قال للمبدع

الاول ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط بل الاخلاط الاربعة وهي الاسطقسات و
اوايل الموجودات كلها ومنه ابدعت الاشياء البسيط كلها دفعة وحدة
اما المركبة فانها كونت دايمة دائرة الان ودمومتها بالنوع ثم العالم بجملته
غير دائرة لانه متصل بذلك العالم الاعلى كان عناصر هذه الاشياء متصلة
بلطيف ارواحها الساكنة والعناصر وان كانت تدثر في الظاهر فان
صفوتها من الروح البسيط الذي فيها غير دائرة فان كان كذلك فليست
تدثر الا من جهة الحواس واما من نحو العقل فانه ليس يدثر فلا يدثر هذا العالم اذا
كان صفوها فيه وصفوها متصل بالعوالم البسيط اقول فهم كلامه و
درک مرامه يحتاج الى قريحة صافية وذهن ثاقب مع تعمق شديد في
العقليات وتدرب بالغ في الالهيات والعجب ان الحكماء مع شدة فهمهم
ووفور علمهم كيف ذهلوا عن غور كلامه وتقدم مرامه واعترضوا على كلامه وشنعوا
عليه من جهة قوله ان اول مبدع هو العناصر وبعدها ابدعت البسايط
الروحانية فهو ترقي من الاسفل الى الاعلى ومن الاكدر الى الاصفى ولولا
مخافة الاطناب لبينت صحة مرامه في هذا الباب ومع ذلك فكلامه صريح
في تجدد هذا العالم ودثور تشخصاته وبقاء صفوها اي صورها العلمية عند الله
لانه اراد بالاشياء البسيطة الصور العقلية الثابتة وبالاشياء المركبة

الصور

الصور الجسمانية فلكية كانت او عنصرية ومن الفلاسفة القايلين بحدوث
العالم وخرابه فلاسفة افاداميا وانهم كانوا يقولون ان كل مركب يحيل فلا
يجوز ان يكون من جوهرين متفقين في جميع الجهات والا فليس بمركب فاذا
كان هذا هكذا فلا محالة اذا انحل التركيب حل كل جوهر فاتصل بالاصل الذي منه
كان فما كان منها بسيطا روحانيا لحق بعالم الروحانية وهو باق غير داثر وما كان
منها جاسيا غليظا لحق بعالمه ايضا وكل جاس اذا انحل فانما يرجع حتى يصل الى
لطف فاذا لم يبق من الطافة شيء اتحد باللطيف الاول فيتحد به فيكونان متحدين
الى الابد واذا اتحدت الاواخر بالاوايل كان الاول هو اول كل مبدع ليس
بينه وبين مبدعه جوهر آخر متوسط فلا محالة ان ذلك المبدع الاول يتعلق
بنور مبدعه فيبقى خالدا دهر الدهور انتهى اقول كلام هؤلاء الفلاسفة
يشتمل على بيان مقصدين شريفين وهما اللذين اكثرنا ذكرهما وكررنا تبيينهما
احدهما دثور العالم الجسماني ودثور صورته ونفوذ مادته الى الفساد والاضمحلال
وثانيهما اتصال ما صفي ونقي من الصور الحسية الى الصور العقلية ورجوع ما
صفي ونقي منها الى العلة الاولى الالهية فالكل عايدة اليه راجعة صايرة اياه
متحدة بوجهه الباقي رجوع النقص الى التمام ومصير الفرع الى الاصل كما قال
تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون وقوله الا الى الله

تصير الامور ومن الفلاسفة القايلين بحدوث العالم هرقل الحكيم فانه
كان يقول ان اول الاوايل النور الحق لا يدرك من جهة عقولنا لانها ابدعت
من ذلك النور للاول وهو الله جل جلاله وكان يقول ان بدو الخلق واول هذا العالم
هو المحبة والمنازعة ووافق هذا الراي انباذقلس حيث قال الاول الذي ابدع
اولا هو المحبة والغلبة اقول ودلالة هذا الكلام على الحدوث ان كل محب
يحب شيئا غير ذاته فهو يتحرك حتى ينقلب الى محبوبه ويرجع اليه ويفنى فيه لان
كل ناقص مشتاق له غاية وكل غاية يتحرك ذو الغاية اليها وكل محبوب قاهر على جذب
محبه اليه ومحو آثاره وجعله راجعا اليه بالكلية كما قال تعالى وهو القاهر فوق عباده
وهذا من غير التفات يظهر منه الى السافل وتغير لبرائته عن التغير والانفعال اذ
العالي لا ينفعل عن السافل بل يحركه ويجذبه ويمحو آثاره ويجعله صايرا اياه من غير تغير
ومباشرة فالعالم بجميع ما فيه يرجع يوما الى الله ويصير اليه كما انه يبدا منه ومن
القايلين بحدوث العالم انيقورس خالف الاوايل في الاوايل قال المبادي
اثنان الخلا والصورة اما الخلا فمكان فارغ واما الصورة فهو فوق المكان
والخلا ومنهما ابدعت الموجودات وكل ما كون منهما فانه يضمحل اليهما فمنهما المبدا
واليهما المعاد وربما نقول الكل يفسد اقول كانه اراد بالمبادي المبادي القريبة
او مبادي القوام لا مبادي الوجود وهي منحصرة في المادة والصورة اذ الفاعل

والغا

والغاية خارجتان عن وجود المعلول واراد من الخلا الهيولى الاولى لكونها عدمية
خالية عن الوجود لذاتها ولها امتداد مكاني باعتبار امتدادها الجسماني واراد
بالصورة الطبيعية المنوعة للاجرام وهي بحسب وجودها العقلي فوق الهيولى
والابعاد فوقية بالعلية والشرف وكل منهما مبدا امر فما فيه الشي لا ما به
الشي لكن الصورة مبدا فعلية الشي الحادث وكماله والمادة مبدا قوته ونقصه
وكذا الصورة اذا كملت فهي غاية غاية ومرجع كون والمادة اذا دثرت والقبيت
عند كمال اللب فهي ايضا غاية نقيصته ومرجع عدمه ولهذا قال منهما المبدا
واليهما المعاد اذ مبدا كل معلول هو ما ينتهي اليه فيخرج من كلامه ان الجسمانيات و
ساير الصور الحسية يتجدد وجودها من الصور المفارقة الباقية عند الله ببقائه لا
ببقاء ذواتهم لان كل شي هالك الا وجهه ومن حكم الشيخ اليوناني الدالة
على حدوث هذا العالم انه قال على سبيل الرمز ان امك رؤوم لكنها فقيرة
رعناء وان اباك لحدث لكنه جواد مقدر يعني بالام الهيولى وبالاب الصورة
وبالرؤوم انقيادها وبالفقر قوتها وهي امر عدمي محتاج الى الصورة وبالرعونة
عدم ثباتها على حالة واحدة واما حداثة الصورة فهي تجددها في الوجود واما جودها
فبحسب حقيقتها الفعلية التي هي في علم الله وهي من جهات جوده ووجوه
رحمته كما علمت على القوابل المستعدة وهذه القوابل انما يقبل الصورة بقدر

[illegible]

معلوم كما قال سبحانه وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ومن
الحكماء المبرزين المشهورين بالفضل والبراعة الاسكندر الافرودیسی وهو
من كبار اصحاب ارسطاطاليس رايا وعلما وكلامه امتن ومقالته احسن
وقد وصفه الشيخ في الشفاء وفي كتاب المبدا والمعاد بفاضل المتقدمين وفي
اسناده في ان الباری عالم بالاشياء كلها كليا بانه هو خير بياتها على نسق واحد
وهو عالم بما كان وما سيكون ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا ينكره وحكا الفوند
برانه قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحرك
من غيره اصلا ومن كلامه الدال على حدوث ما سوى الفلك المحدد انه قال لما كان
الفلك محيطا بما دونه فكان الزمان جاريا عليه لان الزمان هو العاد للحركات
او عددها ولما لم يكن محيط به شيء آخر والا لكان الزمان جاريا عليه لم يجز ان يفسد و
يكون فلم يكن قابلا للكون والفساد وما لا يقبل الكون والفساد كان قديما
اقول كلامه نص في ان ما يكون تحت الدهر والزمان فهو من الكوائن
الفواسد ولا شبهة في ان جميع الاجرام الفلكية والعنصرية مما يجری
عليه الزمان لانها مادية فيها جهة القوة والاستعداد فيكون قابلة للكون
والفساد فحينئذ ان ثبت ان المحيط بجميعها جسم له قوة الحركة والتغير فله
ايضا لا محالة صورة متجددة كاينة فاسدة وان لم يكن كذلك فيكون صورة

علم

عقلية يكون احاطتها بالسماء ليست احاطة وضعية مكانية بل معنوية كاحاطة
النفس بالبدن والعلة بالمعلول فلم يكن لذاتها من جملة عالم الشهادة و
الحس فكان في ذاتها من جملة ما في علم الله من عالم الغيب وما عند الله باق ببقائه
كما قال ما عندكم ينفد وما عند الله باق ومن عظماء الحكماء المتالهين الراسخين
في الحكمة والتوحيد فرفوريوس صاحب المشائين واضع ايساغوجي وهو عندي
من اعاظم اصحاب المعلم الاول واهدى القوم الى اشاراته وعلومه وجميع ما ذهب
اليه في علم النفس وعلم الرب وكيفية المعاد والاعتماد عليه في شرح التعليم
الاول اكثر مما على غيره كالاسكندر الرومي وثامسطيوس وان كان الشيخ كثير
التعويل على كلام ذرين دونه لانكاره عليه في القول باتحاد العاقل بالمعقول و
قد اوضحنا سبيله واحكمنا دليله في الشواهد الربوبية قال المكونات
كلها انما يتكون بتكون الصورة على سبيل التغير وتفسد بخلو الصورة وقال
كل ما كان واحدا بسيطا ففعله واحد بسيط وما كان كثيرا مركبا فافعاله كثيرة مركبة
وكل موجود ففعله مثل طبيعته ففعل الله بذاته واحد بسيط وما يفعله من افاعيله
بمتوسط فمركب وقال ايضا كل ما كان موجودا فله فعل مطابق لطبيعته و
لما كان الباری موجودا ففعله الخاص الواحد الذي هو الاجتلاب الى شبيهه يعني
الوجود ففي كلامه دلالة على حدوث الطبيعة الجسمانية تصريحا وتلميحا اما الاول

فحيث قال المكونات انما تتكون بتكون الصورة على سبيل التغير وتنعدم
بخلوها عنها واما الثاني فقوله كل موجود فنعمله مثل طبيعته ولا شبهة في ان
لكل جسم طبيعة هي مبدا حركته والحركة امر دائم التجدد والحدوث فكذلك مبداها
القريب فيكون كل جسم طبيعي حادثا زايلا كاينا فاسدا ومن الفلاسفة
المعتبرين المشهورين ابرقلس المنسوب الى افلاطون وقد اشتهر فيما بين القوم
كما نقلناه في صدر الرسالة ان القول بالقدم ونسبته الى الفلاسفة الاقدمين
منشاه ايراد ابرقلس في تصنيفه تلك الشبهات التسع ولولا مخافة الاطناب
لذكرتها وبينت وجه التفصي عن واحد واحد منها بحيث لم يبق منها لاحد محل
الشك في حدوث العالم وكيفية صدور الموجودات منه تعالى على ان لكل منها
محملا صحيحا ووجها وجيها يبصره البصير ولهذا ذكر الشهرستاني في كتاب
الملل والنحل انه قال بعض المتعصبين لابرقلس مهما له عذر في ايراده تلك
الشبهات انه كان يناطق الناس منطقين احدهما روحاني بسيط والاخر
جسماني مركب وكان اهل زمانه الذين يناطقونه جسمانيين وانما دعاه الى
ذكر هذه الاقوال عنادهم اياه فخرج من طريق الحكمة والفلسفة من هذه الجهة
لان من الواجب على الحكيم ان يظهر الحكمة على طرق كثيرة يتصرف فيها كل ناظر
بحسب نظره ويستفيد منها بحسب فكره واستعداده فلا يجد على قوله سبيلا

ولا

ولا يصيبوا عليه نقالا وطعنا لان ابرقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم
وانه باق لا يدثر وضع كتابا في هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا
منه جسمانيته دون روحانيته فنقضوه على مذهب الدهرية وفي هذا الكتاب
لما اتصلت العوالم بعضها ببعض وحدثت القوى الطبيعية حدثت فيها
قشور واشتغلت لبوب فالقشور داثرة واللبوب دايمة لا يجوز عليها الفساد
لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم عالمين عالم الصفوة واللب وعالم
الكدورة والقشور فاتصل بعضه ببعض وكان آخر هذا العالم من بدو ذلك العالم
فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم داثرا اذ كان متصلا بما ليس بداثر
ومن وجه دثرت القشور وزالت الكدورة وكيف يكون القشور غير داثرة ولا
مضمحلة وما لم يزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وايضا فان هذا
العالم مركب والعالم الاعلى بسيط وكل بسيط باق دايما غير مضمحل ولا متغير فان
الذي يذهب عن برقلس هذا الذي ينقل عنه هو المقبول عن مثله بل الذي اضاف اليه
القول الاول لا يخلو من امرين اما انه لم يقف على مرامه للعلة التي ذكرناه سابقا
واما لانه كان محسودا عند اهل زمانه لكونه بسيط الفكر واسع النظر ساير القوة
وكانوا اولئك اصحاب اوهام وخيالات والدليل على صحة ما ذكره هذا الذا
ان ابرقلس كان يقول في موضع من كتابه ان الاوايل التي منها تكونت

العوالم باقية لا تدثر و لا تضمحل وهي لازمة للدهر ماسكة الا انها من اول واحد
لا يوصف بصفة و لا يدرك بنعت و نطق وان صور الاشيا كلها منه و
تحته وهو الغاية والمنتهى الذي ليس فوقها جوهر هو اعظم منها الا الاول الواحد
الذي قوته اخرجت هذه الاوايل وقدرته ابدعت هذه المبادي وقال ايضا ان الحق
لا يحتاج الى ان يعرف ذاته لانه حق حقا وكل حق حقا فهو تحته اذ قد حققه
الحق فالحق الذي استمد منه طباع الحيوة والبقاء هو الذي افاد بقاء هذا العالم
بدوا وبقاء بعد دثور قشوره وزكى البسيط الباطن من الناس الذي كان فيه
قد علق به وقال ايضا ان هذا العالم قد اضمحلت قشوره و ذهب دنسه و
صار بسيطا روحانيا وبقي ما فيه من الجواهر الصافية النورانية في حد المراتب
الروحانية مثل العوالم العلوية وبقي فيه جوهر كله قشره و دنسه وخبث اقول
قد انكشف وتبين من هذه الكلمات ان مذهب ابرقلس المعروف بين الناس
بانه الدهري هو بعينه مذهب افلاطن ومن تقدمه في حدوث هذا العالم ودثوره
وبواره وبقاء هذا العالم الربوبي الا انه لما اتصل اواخر هذا العالم باوايل ذلك
العالم اتصال المعلول المفاض عليه بعلته واتصال ذي الغاية بغايته و
لحوق الناقص بتمامه وذلك العالم الربوبي باق ببقايه تعالى دايم بدوامه حكم
احيانا بازلية هذا العالم بالوجه المذكور فقوله بدهر هذا المعنى ليس يعني به

ان

ان الصور الطبيعية للافلاك و الكواكب وغيرهما ازلية بل عنى به ان صورتها
العقلية البسيطة غير داثرة بدثور هذه الحيثيات وذلك لان الدثور
يقتضي غاية ومعادا غير داثر كما ان الحدوث يقتضي مبدا او فاعلا غير حادث
لامتناع ان يكون لكل غاية غاية لا الى ما لا نهاية و ان يكون لكل مبدا مبدا لا
الى بداية ففي الطرفين لابد و ان ينتهي الاشياء المتجددة الى امر لا بداية
له و لا نهاية واما السوابق و اللواحق الزمانية فهي كما بين ليست عللا ذاتية
بل عرضية فالسوابق معدات وليست مبادي ذاتية وكذا اللواحق هي
ليست غايات ذاتية بل عرضية كما بين في الشفا وغيره ففي كل من
الطرفين لابد وان ينتهي الاشياء المتجددة الى امر لا بداية له و لا نهاية فاذن
مرجع قوله ان العالم قديم على الوجه الذي مر الى ان الصانع له قديم وهو المبدا
الذي منه بدو كل باد و المعاد الذي اليه عود كل عايد فما ذكره قول حق و
صواب بشرط ان يعلم قايله و يذعن بان الصور العقلية التي هي بواطن
هذه الصور الطبيعية ليست موجودات مباينة وجودها لوجود الحق والا
ليلزم تعدد القدماء ولا حالة في ذات الاول تعالى ليلزم التكثر في
صفاته ولا انها متحدة به تعالى عن ذلك ليلزم انقلاب له من الوجوب
الى الامكان او لها من الامكان الى الوجوب والكل مستحيل باطل

بل الواجب واجب ابدا ازلا والممكن ممكن دايما والحق حق في الازل
والباطل باطل لم يزل وانما ذلك شيء لا يعرفه الا اهل الاذواق والمواجيد
والراسخون في علم التوحيد والتمجيد على ان البرهان قايم كما اسلفناه
على ان كل شوق وطلب غريزي يفضي بصاحبه الى ما يحبه ويطلبه
بالضرورة تكملة الرسالة بما سنح لنا في هذه الحالة من الكلام
ولم نكن نرتهما من اولئك الاكابر العظام والاولياء الكرام فاقول
مخاطبا لهم ومواجها لارواحهم ما انطق برهانكم يا اهل الحكمة واوضح
بيانكم يا اولياء العلم والمعرفة ما سمعت شيا منكم الا مجدتكم وعظمتكم
به فلقد وصفتم العلم وصفا عجيبا الهيا وعلمتم الاء الله علما شريفا
برهانيا ونظمتم السماء والارض نظما عقليا ورتبتم الحقايق ترتيبا الهاميا
حقيقيا جزاكم الله خير الجزاء لله در قوة عقلية سرت فيكم وقومتكم
وصانت عليكم وعصمتكم من الخطا والزلل وازاحت عنكم الآفة و
الخلل والاسقام والعلل ما اعلى واشمخ قلتها واجل واشرف علتها
عمر الله بكم دار الآخرة والسرور وبنى لكم درجات الجنة والقصور و
اطال لكم عيش الملكوت الاصفى والبهجة العليا والنور الاسنى مع
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

الا

الا ان ههنا كلمة واحدة وهي ان المشهور منكم معاشر الحكماء ان مقصود
الافلاك وما فيها ليس امرا تابعا والا فاطلبية الاستحالة طلب
الحاصل ولا مطلوبا جزئيا دفعيا فوقفت ان نالت او يأست ان
كان ممتنيال والحركة دايمة فلها في حركاتها غاية هي مطلب كلي فلحركتها
ارادة كلية موجبة لعلم كلي ازلي لجوهر عقلي فيها ثم الحركات المنبعثة
عن ارادة كلية لا بد وان يقترن لمقاصدها ارادة جزئية يباشر جزئيات
تلك الحركة اذ وجودها يمتنع دون خصوصيات اجزائها المادية فمقصود
تلك الارادة الجزئية يجب ان يكون من جزئيات الغاية الكلية او من
ضرورياتها فمقصودها اما امر حيواني من جلب نفع بالشهوة او دفع ضر
بالغضب وشيء منهما غير متصور فيها لا انزعاج ام متضادات ولا
التيام ولا انخراق فيه ولا مزاحم لمكانه ولا مضاد لكيفيته واما امر وهمي
غير ذلك فمقصودها خارج عن غرض الحيوانات العنصرية من الجذب والدفع
والشهوة والانتقام وليس ايضا لها غرض مظنون كطلب مدح او ثناء
او صيت وهو ايضا باطل لوجوب حركاتها بايجاب محركها واستيجابها
لغاياتها فيكون غرضها امرا عقليا فليس ذلك نفعا للسافل او شفقة
عليه الا على سبيل التبعية وترشحا للخيرات اذ المقصود انما يجب ان

يكون اشرف واعلى من قاصده فحركتها المقصود اشرف من نفوسها اما
لينال ذاته او ليتشبه بصفة له دفعيه فلزم ما لزم مما سبق من الوقفة
او تشبها تجدديا وهو المتعين فالمتشبه به يجب ان يكون جوهرا كاملا
عقليا متعددا حسب تعدد هذه النفوس والا لما اختلفت الحركات
فاختلفت المبادي وتعددت حسب تعدد الكرات هذا هو المأثور منكم
رحمكم الله وهو صحيح الا ما نقل حسبما هو المشهور منكم في كيفية هذا التشبه
التجددي انه قد حصل بمجرد تبدل الاوضاع النسبية واستبقائها نوعا
بالحركة في مقولة الوضع فهذا مما لا يسمن ولا يغني من جوع فان مجرد
الوضع وهو من النسب الاعتبارية التي لا صورة لها في الخارج والامر
غرض واسهل غرض كيف يحصل به كمال يتشبه به لكمال الجواهر العقلية
واني يكون مثل هذا الغرض سببا لاهتزاز هذه العلويات على ان
الحركة دايما يكون لاجل شي آخر وسيلة اليه ولا يكون هي بما هي حركة
منظورا اليها بالقصد الاول وهذا الحكم به الفطرة القويمة قبل الرجوع
الى البرهان ولا ريب لاحد في ان العاقل لا يتردد في بيته بمجرد اخراج
الاوضاع من القوة الى الفعل ثم ما من ناقص الا وفوقه مراتب من
الكمال وبينه وبين المطلوب الكامل من كل الوجوه درجات جوهرية

لا تتعدد ولا تحصى فاذا كان له جوهر ادراكي متصور لما فوقه فكيف اقصر
نظره وحصر مطلوبه في اكتساب اخس الامور وادونها وجعله مبدا حاله
ومنشا كماله وسروره وابتهاجه وليس لاحد ان يقول لعل ما قصا
يمتنع عليه تحصيل ما هو اشرف من ذاته مما هو كمال جوهري له لانا نقول
لو امتنع ذلك لما كان مركوزا في جبلته وجبلة كل موجود شوق الى ما هو
اعلى واشرف منه وقد بين كما اشرنا اليه سابقا ان للطبايع غايات
وان الامور التي جبلت عليها الطبايع لا يكون هباء وعبثا كما قال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم من الشواهد ان معلم
الفلاسفة منكم قد صرح في تعليمه بان ما هو ولم هو في المفارقات المحضة
امر واحد مجتمع فيها دونها متعدد متفارق فطبيعة الفلك والكواكب
وكذا نفوسها يجب ان تكون ما هو فيهما مفارقا عن لم هو طالبا اياه لان الغاية
المطلوبة يكون اشرف مما هو لان كل غاية اشرف من ذي الغاية ثم
ان التشبه الذي تقولون انه غاية الفلك في هذا الشوق الطلبي لو كان المراد
منه هذا المعنى المصدري الاضافي فهو مما لا صورة له في الاعيان لانه اعتبار
يعتبره الذهن وان اريد به امر يصير به جوهر الفلك شبيها بالجوهر العقلي
بحسب ما يمكن في حقه فيجب ان يكون امرا صوريا جوهريا اذ الغرض مطلقا

لايكون كمالا لجوهر موجود بالفعل اذ كمال الشئ وتمامه اشرف وجوداً و
اوكد حقيقة منه وكل عرض وجوده اضعف واخس من كل جوهر سيما
الذى هو اضعف الاعراض واخسها مثل نفس الحركة وساير الاعراض
النسبية الغير المتقررة نعم يجوز ان يكون الشئ بالمعنى المصدرى من
كمالات الحركة بمعنى المتحركية اى الخروج من القوة الى الفعل على التدريج واما
غاية الامر الخارج من القوة الى الفعل بحسب ما ارتكز فى طباعه من طلب الكمال
والتوجه الى المطلوب الحقيقى فلا بد وان يكون جوهرا اشرف مما هو عليه
اولا فالاول ثابت الحسب ما هو والثانى بلحقه بحسب لم هو فى رتبته لم
هو خارج عن ذاته بوجه داخل فيه بوجه فاذا تقرر هذا المقام تحقق وانكشف
لذوى ثواقب الافهام ان للفلك فى كل شوق وحركة كمالا وجوهرا آخر
والحسب كل كمال جوهرى حدث شوق آخر وحركة اخرى فيكون له فى كل
آن من الآنات وصول الى المفارق المحض ورجوع الى العالم الاعلى و
كذلك يفيض من ذلك العالم المفارق فى كل آن على مادته صورة جوهرية
اخرى فهكذا يتتالى الاشراقات ويتوالى الاتصالات ويتنازل الالطاف
ويتصاعد الكلمات الطيبات لايزال على الاتصال ففى كل آن له
بعث وخلق جديد وله فى جميع الدهر حدوث واحد من الله وحشر واحد

اليه وحدة جمعية كما قال سبحانه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال
اليه يرجع الامر كله فعلى هذا ثبت وتبين على ذوى البصاير حدوث العالم
وجميع ما فى السموات وما فى الارض وانها تدريجية الوجود متبدلة الاكوان و
انها كل لحظة فى خلق جديد كما فى القرآن المجيد ان فى خلق السموات والارض و
اختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب ان فى هذا البلاغا لقوم
عابدين وصلى الله على خير خلقه محمد واله اجمعين ت صورة خط قدسى

وكتب بيده هذه الارقام مؤلفه الفقير المستهام محمد المعروف
بصدر الدين الشيرازى اوتى كتابه بيمينه وحشر مع الذين
اقتدى بهم فى دينه حامدا لله مستغفرا الذنبه مصليا
على نبيه واله ت فرغ العبد كلا قلم من تسطيره
شهر شعبان المعظم سنة ثمان وثلثين
ومائة والف من الهجرة

وهذا وجد بخط [illegible] [illegible]

١٤١

كتاب
اللب

ابابه
٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لمن كان لم يزل بلا زمان ولا مكان والآن كما عليه كان والصلوة على من
كان نبيا وآدم بين الماء والطين وآله الهادين المهديين اما بعد فيقول
الكادح الى الحق والهدى محسن بن مرتضى وفقه الله لما يحب ويرضى لما كان مسئلة حدوث
العالم خافيا على طائفة من فحول العلماء فضلا عن الطلاب رأيت ان اكشف
عنه نقاب الارتياب وارفع عنه اغشية الحجاب بالاتيان بلب القول فيه
كما هو دأبي في كل باب والله يهدي من يشاء الى الحق والصواب تمهيد ان قوما
من الغاغة زعموا ان الله عز وجل كان لم يزل في امتداد موهوم غير متناه في
طرف الازل وكان حينا من الدهر عاطلا عن الجود فارغا عن افاضة الوجود
ثم شرع في الايجاد فكان بينه وبين اصل الايجاد امتداد وان امتداد وانما
اوقعهم في ذلك حسبانهم ان حدوث العالم الثابت في الشرايع عبارة عن تناهي
زمانه في الازل وانقطاعه اوانه الاول قالوا ولو كان زمان العالم غير متناه فيما
مضى لكان قديما مستغنيا عن الصانع تعالى وهذا مع تناقضه وهم نشأ من سوء
فهم اما التناقض فلان امتداد المذكور ان كان يقبل التجزية ويدخله الزيادة
والنقصان فهو الزمان بعينه والا فهو لاشيء محض واما الوهم فلان سبب

افتقار العالم الى الصانع انما هو هلاكه الذاتي وفقره الجبلي واتصافه بالامكان
لا نهاية الزمان وليس الزمان الا عدد حركة الفلك كما ان المكان ليس الا
ما احاط بالفلك او ما ملاه الفلك فاذا لم يكن فلك فلا زمان ولا مكان
فلما ابدع الله عز وجل الفلك وما فيه من الاجسام وادارها وجد المكان و
الزمان وذلك بعد ما ابدع جل ذكره كثيرا من الارواح والاملاك وما عمر به الافلاك
فالزمان انما حدث بعد حصول كرائم الموجودات وعظائمها وبعد حدوث
اركان المخلوقات ودعائمها وقد ثبت ذلك بالبراهين وقوائمها فالتقدم
الزماني منتف في حق الله سبحانه وفي حق ابتداء العالم والتعطيل غير جائز في حق
مفيض الجود والكرم والفراغ ممتنع عن افاضة الوجود والبخل محال من الجواد عن
الوجود ذلك مقالة اليهود حيث قالوا يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما
قالوا بل يداه مبسوطتان وجوده مقدس عن الزمان وكيف يتقيد خالق الزمان
بالزمان وهو موجود بذاته لذاته غير مفتقر الى شيء من مخلوقاته واحد احد متوحد من
غير قلة ليس بمعلول ولا علة بل هو خالق المعلولات والعلل وجاعل الشيء انه و
الاول كذلك لا يزال ولم يزل والعالم موجود بالله عز وجل لا بذاته مرتبط ذاته
بذات الله وصفاته منزه ابتداؤه عن الزمان واوقاته كذلك لا يزال ولم يزل
فصل ومنهم من يسمي ذلك الامتداد بالازل وينعت به الرب تعالى وجل تعالى

له الازلي وزعم ان نسبته الى الله تعالى كنسبة الزمان الينا فهو في الازل كما كان
في الزمان فيقال له لا يخلو هذا الازل الذي نسبته الى الله تعالى اما ان يكون وجودا
او عدما فان كان عدما فهو لا شيء محض ويمتنع ان ينعت به الباري سبحانه
وان كان وجودا فهو اما ان يكون نفس الباري او غيره فان قال انه نفس الباري
فقد وافقنا في القديم الا الله سبحانه وان اخطا في التسمية والمعنى وان قال
انه غير الباري فلا يخلو اما ان يكون قايما بنفسه او بغيره وعلى الاول ابطل الوحدانية
لله سبحانه وعلى الثاني لا يخلو ذلك الغير اما ان يكون نفس الباري ام لا فان
كان نفس الباري فهو له كعلمه وقدرته وساير صفاته الازلية فرجع منعوتا
بالازل والكلام في الازل المنعوت به الازل كالكلام في الازل الاول
ويتسلسل وان كان غير الباري فقد اثبت قديما آخر وابطل الوحدانية
على ان ذلك الذي يقوم به الازل هو الموصوف بالازلي لا الباري لان المعاني
انما توجب احكامها لمن قامت به فبطل وصف الباري بالازلي ان قلت
فما معنى الازل فاعلم ان الازل عبارة عن معقول القبلية المحكوم بها لله عز وجل
من حيث ما يقتضيه في كل الامر حيث انه تقدم على الحادثات بزمان متطاول
العهد فيحكم له بالازل الآن كما كان يحكم له به قبل وجودنا لم يتغير ازليته و
لا يزال ازله في ابد الآباد فهو حكم له ذاتي استحقه لكماله ليس لشيء من المخلوقات

فيه وجود لا حكما ولا عينا وهو لا يوصف بالوجود لانه امر حكمي لا عيني ولا
بالعدم لا يقبل النسبة والحكم والعدم المحض لا يقبلها ولك ان تجعله
نعتا سلبيا وتفسره بانتفاء البدو عن وجوده عز وجل او انتفاء سبق قبلية
بالعدم في نفس قبليته على العالم فرجع الى معنى القدم واذا تمهد هذا
فلنكشف القناع عن وجه المقصود فالق سمعك وانت شهيد اصل
قد ثبت في قواعد الشرايع واستقام في قوانين الحكمة كما يظهر من تتبع الاخبار
واقتفاء الآثار ان لا معنى لحدوث العالم سوى ان له مُحدثا احدثه من صرف
الليس ومحض العدم وان لا مدخل لتناهي سلسلة الزمان في حدوثه ولا
اللاتناهية في القدم فان صاحب الشرع واوصياءه صلوات الله عليهم
كلما اشتغلوا بالدليل على حدوث العالم اخذوا يستدلون على اثبات الحدث
ووجود الصانع لا على تناهي زمان العالم وان كان ذلك ايضا حقا والبرهان
عليه قايما الا انه حديث آخر لا مدخل له في الحدوث والاحداث بالنسبة
الى العالم وذلك لان الآجال تنتهي في المخلوق بانتهاء المدد واما الخلق فمع
الانفاس يتجدد فمعنى حدوث العالم ليس الا ان فاطره عز وجل شق عن غسق
ليل عدمه بفلق نهار الوجود ومبدعه سبحانه اظهر صنعه من خفاء الليس
الى فضاء الايس والشهود وموجده تعالى ابرزه الى عرصة الظهور والعيان

بعد ما كان كامنا تحت سرادقات غيب الامكان وخالقه عز وجل ولمع
لسان صباح وجوده نطق بتبلجه وسرح قطع ليل عدمه المظلم بنعيبا هب تبلجه
وصانعه جل ذكره شعشع ضياء شمس ابداعه بنور ابلجه واتقن صنع فلك
تكوينه في مقادير تبرجه دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته واظهر
صفاته وعجايب مصنوعاته قرب من خواطر الظنون وبعد عن ملاحظة
العيون وعلم ما كان قبل ان يكون فان اردت ان تطلع على ماهية هذا
الحدوث فاستمع **اصل** اعلم ان للحدوث معنيين احدهما الحدوث
الذاتي وهو ان يكون ذات الحادث مسبوقا بذات المحدث والآخر
الحدوث الزماني وهو ان يكون زمان وجود الحادث مسبوقا بزمان عدمه والمعنى
الاول يجري في كل ما سوى الله وهو ثابت في كل ما يجري فيه والمعنى الثاني انما يجري في
ما يدخل تحت الزمان دون ما تقدم على الزمان وهو ايضا ثابت في كل ما يجري فيه
لا يند عنه شاذ ولنبدأ اولا ببيان المعنى الاول واثباته في كل ما سوى الله
ثم نردفه ببيان الثاني واثباته في جميع ما يجري فيه فاقول **اصل** المصنوع
يمتنع ان يكون في مرتبة ذات الصانع لان معنى الفاعلية والمفعولية ليس الا
تقدم ذات على ذات يوجد الثانية من الاولى ولو كانتا معا لكان الفعل
تحصيلا للحاصل فكان الصانع في ازل قدمه والمصنوع بعد في حجر عدمه لم يكن

الصانع

الصانع ولا مصنوع ثم حدث المصنوع باحداث الصانع اياه وبهذا يثبت حدوث
العالم بالمعنى الاول اذ ثبت وجود الصانع بالعقل والنقل والعجز وهذا معنى حديث
كان الله ولم يكن معه شيء ومعنى قول من قال الآن كما عليه كان فمعنى كان هنا معناه
في قوله عز وجل وكان الله عليما حكيما فهو منسلخ عن معنى الماضي بل عن مطلق الزمان
اصل هذا التقدم الذي يكون للفاعل على مفعوله هو التقدم الحقيقي الذاتي
الذي لا تقدم اشرف منه ولا في مرتبته في الشرف اذ لا ملاك لهذا التقدم سوى
ذات الفاعل بذاته ولا يفتقر المتقدم في تقدمه الى واسطة يكون علة التقدم
وكذا التأخر الذي بازائه هو التأخر الحقيقي الذاتي الذي لا تأخر اخس منه ولا في
مرتبته في الخسة اذ لا ملاك لتأخره سوى ذاته بذاته من دون واسطة فمن زعم انه
فهم معنى هذا التقدم والتأخر ثم زعم ان الله سبحانه والعالم كانا معين بحسب
الذات او بحسب الزمان او زعم ان العالم قديم بحسب الزمان او كان مع الله في
الزمان فما فهم معنى الباري ولا العالم ولا مفهوم الحدوث ولا القدم ولا معنى
التقدم والتأخر والمعية لا الذاتية ولا الزمانية ولا تصور معنى الزمان مع انه
في وجود الباري والعالم في الزمان وما عرف تقدسه عن الزمان **وصل**
قد تحقق مما قررنا ان السؤال عن سابقة عن بدو العالم كما هو ساقط عن وجود
الحق المنعوت بالقدم وان قدم الحق ليس بتطاول مرور الازمنة والاوقات

بل انما هو بالوجوب بالذات وانه كما لم يدخل على الممكن في وجوده بعد عدمه صفة
تزيله عن امكانه لذاته كذلك لم يدخل على الواجب وجوده في ايجاده العالم وصنعه
تزيله عن وجوب وجوده لذاته فاولية العالم وآخريته امر اضافي فالاول من
العالم بالنسبة الى ما يخلق بعده والآخر من العالم بالنسبة الى ما خلق قبله
وليس كذلك معقولية اسم الله بالاول والآخر والظاهر والباطن فان
العالم متجدد والحق واحد لا يتجدد ولا يصح ان يكون الحق اولا لنا فان
رتبته لا تناسب رتبتنا ولا تقبل رتبتنا اوليته ولو قبلت لاستحال علينا اسم
الاولية بل كان يطلق علينا اسم الآخرية لاوليته ولسنا بثان له تعطي
عن ذلك فليس هو باول لنا فلهذا كانت عين اوليته عين آخريته وعين ظاهريته
عين باطنيته وهذا المدرك عزيز المنال لا يتصل اليه ايدي كثير من العقول فضلا
عن الوهم والخيال رزقك الله ان تنال والآن اراك تشتهي ان تعرف كيفية
هذا الاحداث والابداع والصنع والاختراع ولا اراك تستطيع معرجا
ان جذبتك يد الحق فلنات لمحة تمثيلية تكسر سورة استبعادك المطلق
لما يتلى عليك فخذه اليك **اصل** كل موجود تام فانه يفيض على ما دونه
ما في جوهريته وصورته المقومة لذاته ما لو امسك عنه لبطل ذلك الفيض
مثال ذلك النار فانها تفيض على ما حولها من الاجسام التسخين والحرارة وهي

جوهرها

جوهريتها والصورة المقومة لها ومتى لم يتواتر منها الحرارة متصلا عدمت و
بطلت اذ يضمحل الاولى منها فالاولى وهكذا الفيض من الماء الرطوبة والبلل
على الاجسام المجاورة له والرطوبة هي جوهرية الماء والصورة المقومة لذاته
فما لم يكن متصلا الى المحل بطلت عنه واضمحلت وهكذا الفيض من الشمس النور
والضياء على الارض والهواء وهو جوهري لها فاذا احجز بينهما حاجز اضمحل
الضوء وبطل وهكذا الفيض من الروح الحيوة على البدن وهي جوهرية لها فاذا
فارقت الروح البدن بطلت حيوة الجسد من ساعته واضمحلت وذلك لان
الفيض ما دام متواترا متصلا دائما دام المفاض عليه فان انقطع انقطع وهكذا
حكم وجود العالم من الباري سبحانه الذي هو وجود بحت ووجوب صرف على ان وجود
هذه الافعال ليست من هذه المخلوقات بل هي ايضا من الله عز وجل وانما هي
معدات للقابلات والافاضة من خالقها جل صنعه عن المثال كما جل ذاته
عن الوهم والخيال **وصل** ان اكثر الناس يزعمون ان وجود العالم من
البارئ عز ذكره كوجود الدار من البناء المستقل بنيانها المستغنية عن البناء
وحاشا ان يكون الامر كما زعموا لان البناء مركب للدار ومؤلف لها
عن اشياء هي موجودة اعيانها قائمة ذواتها وليس الابداع والاختراع تركيب
ولا تأليف بل احداث واخراج من العدم وليس ايضا كوجود الكتابة عن

الكاتب الثابتة العين المستقلة بذاتها المستغنية عن الكاتب بعد فراغه
ولكن كوجود الكلام عن المتكلم ان سكت بطل الكلام بل كوجود ضوء الشمس في
الجو المظلم الذات ما دامت الشمس طالعة فان غابت الشمس بطل الضوء
من الجو لكن شمس الوجود يمتنع عليه العدم لذاته وكما ان الكلام ليس جزء
المتكلم بل فعله وعلامة ظهوره بعد ما لم يكن وكذا النور الذي يرى في الجو ليس
بجزء الشمس بل هو انبجاس وفيض فهكذا الحكم في وجود العالم عن الباري
جل ثناؤه ليس بجزء من ذاته بل فضل وفيض يتفضل به ويفيض الا ان الشمس
لم يقدر ان تمنع نورها وفيضها لانها مطبوعة على ذلك بخلافه سبحانه فانه
مختار في افعاله بنحو من الاختيار اجل وارفع مما يتصور العوام واشد و
اقوى من اختيار المتكلم القادر على الكلام ان شاء تكلم وان شاء سكت فهو
سبحانه ان شاء افاض جوده وفضله واظهر حكمته وان شاء امسك ولو
امسك طرفة عين عن الافاضة والتوجه لتهافتت السموات وبادت
الافلاك وتساقطت الكواكب وعدمت الاركان وهلكت الخلايق و
دثر العالم دفعة واحدة بلا زمان كما قال عز وجل ان الله يمسك السموات و
الارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده روى الشيخ الصدوق
محمد بن علي بن بابويه القمي طاب ثراه في كتاب التوحيد باسناده عن مولانا الصادق

ظلر

عليه السلام في قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة قال لم يعنوا انه
هكذا ولكنهم قالوا قد فرغ من الامر فلا يزيد ولا ينقص فقال الله جل جلاله تكذيبا
لقولهم غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء
الم تسمع الله عز وجل يقول يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب و
ان شئت مزيد بيان يكشف سر العيان وشروعا في اثبات المعنى الثاني للحدوث
باقامة برهان فاسمع **اصل** ان الله سبحانه لما اخرج العالم من كتم العدم
الصريح والليس الصرف الى فضاء الوجود وعرصة الشهود بامر كن بلا حرف
ولا صوت ولا خوف من الفوت صب عليه سجال الفيض ورشحات الجود
صبة واحدة بلا حركة ولا زمان ولا آن ولا في مادة ولا حيز ولا مكان بل
ابدع الزمان والآن والحركة بلا زمان ولا آن ولا حركة واخترع المادة و
ذا المادة والمكان وذا المكان من لا مكان الجود والبركة كلمح البصر او هو اقرب
دفعة ابداعية لا دفعة آنية فان الآن طرف الزمان وحصوله بعد حصول
الزمان فحيث لا زمان فلا آن فكما ان ذاته سبحانه وصفاته متقدسة عن
التغير كذلك كل من قوله وفعله وامره متعال عن التغير والتبدل كما قال وما امرنا
الا واحدة الا ان بعض الموجودات لذاته متغير لا التغير عارض له من غيره بل حقيقته
وجوهره يقتضيان التغير كالزمان الذي هو ظرف المتغيرات والحركة التي

متقدرة بالزمان فان ماهيتها الحدوث بعد الحدوث والتجدد بعد التجدد فالزمان
والحركة بهويتها الامتداد بين الجزء الفاريين فافاض الحق الفياض فيضا
واحدة في متن الواقع وظرف الابداع بالاحداث والايجاد بلا زمان ولا امتداد
فصار ذلك سببا التجدد والمتجددات وتعدد الافاضات فالامر من جانب الحق
واحد ومن جانب العالم متعدد ومثال ذلك ان الصباغ يدخل كلا من الثوب الابيض
والثوب الازرق في الصبغ الاصفر فيخرج احدهما اصفر والآخر اخضر وليس
فعل الصفرة فيهما الا واحدا وانما اختلفا بسبب اختلاف القابلية واختلاف
القابلية في الاشياء انما هو مقتضى ذواتها التي بها تميز كل من الآخر وبها صار
هو هو دون غيره **وصل** وان سالت الحق فالتغير الجبلي والتبدل الذاتي
انما سرى في الحركة من المتحركات وانما جرى في الزمان من الزمانيات وذلك لان
الحركة انما هي من الصفات والنسبيات لانها عبارة عن الخروج من القوة الى
الفعل ولا بد من تقوم هذا من الذوات تخرج من القوة الى الفعل والزمان مقدار
الحركة تابعة لها والحركة والسكون من آثار الطبيعة وقد تعرف فيما مر ان كل ما له
من شأنه ان يتحرك فالطبيعة محركة دائما اما بالفعل او بالقوة فهي اذن امر سيال
الذات متجدد الحقيقة اذ لو لم تكن سيالة لم يكن صدور الحركة عنها لاستحالة
صدور المتجدد عن الثابت اللهم الا بتوارد احوال عليها تصلح لان تكون مع

اصل

اصل الحركة متعددات لا اجزائها السبقها عليها بالزمان واما العلة المقتضية للحركة
فلا بد ان تكون مع معلولها وليس فوق الطبيعة متغير فالتغير الذاتي انما هو
للطبيعة من غير تخلل جعل بينه وبينها وبهذا انصح ارتباط الحادث بالقديم
وذلك لان تجدد الطبيعة عين ثباتها كما ان قوة المادة الاولى عين فعليتها
فالطبيعة بما هي ثابتة مرتبطة الى الحق تعالى وبما هي متجددة يرتبط اليها تجدد المتجددات
وحدوث الحادثات فالمتحرك بالذات ليس الا الطبيعة السارية في العالم
الجسماني بامر الله سبحانه بل الوجود الساري في العالم الامكاني باذن الله جل
جلاله وما سوى ذلك فانما يتحرك بالعرض وبالتبع والسر فيه ان الممكن مفتقر في ذاته
الى موجد قيوم مالك لانه في حد ذاته معدوم هالك وفي كل آن الى فناء الذاتي
سالك فهو في كل آن معدوم في ذاته موجود بموجده مفتقر الى وجوده الجديد بعد
وجوده العتيد فلا يزال الله سبحانه يبدع ويصنع ويخلق على القرار والثبات و
يظهر ابداعه وصنعه وتكوينه على الاستيناف والسيلان بحسب الحركة والزمان
التابعين للطبيعة المتغيرة بذاتها المتجددة بنفسها المتكافلة بالحركات التي
تظهر في المقولات **وصل** فالحق سبحانه دفعي الابداع والصنع احدي
الامر والتكوين والعالم تدريجي الوجود متبدل الكون وانما وجد بامر كن
فهو الله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن بلا حرف ولا صوت فيكون

فاذا كان اشرف على العدم من ساعة لهلاكه الاصلي وبطلانه الذاتي فيقول الحق جل جلاله ثانيا كن فيكون ثانيا بهذه الكلمة الثانية وان شئت قلت بمثل الكلمة الاولى بعينها لان امر الله واحد وكلمة واحدة الا انها ثانية في حق العالم فاذا كان ثانيا اشرف على العدم من ساعة فيقول الله عز سلطانه له ثالثا كن فيكون ثالثا وهكذا الى ما شاء الله فنظير ذلك ما ورد في الحديث ان الله تعالى يخاطب عباده من الاولين والآخرين يوم القيمة بمجمل حساب على مخاطبة واحدة يسمع كل منهما واحد قضيته دون غيره ويظن انه المخاطب دون غيره لا يشتغل عز وجل مخاطبة عن مخاطبة ويفرغ من حساب الاولين والآخرين في مقدار نصف ساعة من ساعات الدنيا وصل ولو لم يكن العالم الجسماني ساعيا الى العدم لانتفت الحركة من العالم ويكون كل شيء على حالة من الثبات ولا يكون ايضا محو ولا اثبات وقد شوهدت الحركات واثبتت المحو والاثبات وان الله سبحانه بالنسبة الى الاكوان كل يوم في شان مع انه ليس عن تجدد الشان واليوم الوقت واريد به اصغر الايام وهو الآن فكل مخلوق دايما في حركة وتغير وتبدل ومزيد وفي كل لحظة في خلق جديد وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب كلما توجهت الى العدم بذاتها رجعت الى الوجود باذن بارئها بارع اياب والناس من هذا التجدد في ارتياب

بل

بل هم في لبس من خلق جديد مع انهم يجدون في انفسهم مزيدا بعد مزيد وذلك لذهاب التجدد عن النظر وتشابه المتجددات في الصور ولان امر الله بالبقاء لا يمكن منها الفناء فاتوا به متشابها على اتصال من غير تخلل انفصال وصل قال بعض اهل المعرفة ان الله تعالى نفس عن الحقايق الممكنات بنفس ما كان يجده من كربة العدم ونفسه عين وجودهم الاضافي فهو تعالى في كل آن متنفس والممكن فيه متنفس والسالك الى الله بالفكر او الذكر ينعدم في كل آن ويوجد مثله فله في كل آن طريق اذ لا يصح ان يتفق الاشخاص من جميع الوجوه والا لما امتازت واذا اختلفت اختلفت الاستعدادات واذا اختلفت الاستعدادات اختلفت التجليات واذا اختلفت التجليات اختلفت الطرق اليه والحق بالنسبة اليه كل يوم هو في شان والخلق بالنسبة الى ما قبله في خلق جديد فشئون الحق على احوال الخلق اقول وهذا احد معاني قول من قال الطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق ولعله الى هذا اشير بما ورد في الحديث النبوي اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن فان تاويل اليمن باليمين اعني اقوى الجانبين الذي هو جانب الروحانيات معروف فصل قال بعض العارفين من علم الاتساع الالهي علم انه لا يتكرر شيء في الوجود وانما وجود الامثال في الصور يخيل انها اعيان ما مضى وهي امثالها لا اعيانها ومثل الشيء ما هو عينه فمن الله توجهات دايمة وكلمات لا تنفد انما

بالنوع الى قوله عز وجل اذا اردناه وبالكلمة كلمة كن بالمعنى الذى يليق بجلاله وجمع
التوجهات والكلمات هى خزاين الجود لكل شىء يقبل الوجود قال تعالى وان من شىء
الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وكلمات الله لا تنفد ما عندكم ينفد وما عند
الله باق ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء من خزائن الجود وينابيع الوجود من
غير ان تنقص وتغيض بل تزداد وتفيض ويظهر هذا المعنى فى الماء الجارى فانه فى
كل آن يدخل قطعة منه فى النهر ثم يذهب ويدخل اخرى مع انه نهر واحد ابا لحصر
دايما وفى النار المشتعلة من الدهن والفتيلة فانه فى كل آن يدخل منهما شىء فى
تلك النارية ويتصف بصفة النورية ثم يذهب تلك الصورة ويصير ورتة هواء
كذا شأن العالم بأسره فانه يستمد دايما من الخزاين الالهية فيفيض منها ويرجع
اليها يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ومن هنا عبر الله سبحانه
عن المخلوقات بالكلمات لانها تشبه الكلمات فى النشأة الانسانية فى عدم القرار
والثبات وصل ومما يؤيد هذا ان ضوء الشمس اذا وقعت على اليد مثلا ثم
زالت محاذاة اليد انعدم الضوء عنها البتة ووقع على شىء آخر مكانها ثم
اذا حاذته اليد ثانيا عاد اليها الضوء وظاهر ان هذا الضوء الذى عاد اليها غير
الضوء الذى كان عليها قبل ذلك وان الواقع على شىء آخر مكانها ايضا غير الذى
كان عليها اولا وهذا دليل على انه يتجدد عليها آنا فآنا حين استمرار المحاذاة

ايضا

ايضا وكذلك كل ما كان من شىء فى شىء وصل فامداد الحق واصل الى العالم فى كل
نفس وفى التحقيق الاتم ليس الا امر واحد يظهر لك بحسب القوابل ومراتبها وتعددها
واختلافاتها فيلحقه لذلك التعدد والنعوت المختلفة لا ان الامر فى نفسه متعدد
او وروده طار ومتجدد وانما التقدم والتأخر والتجدد والتصرم من احوال
الممكنات موهم التجدد والطريان كما يوهم التعدد وذلك بحسب تغير الطبيعة
وتعاقب الزمان وامتداده وبحسب مقايسة بعضها الى البعض لا بالنسبة
الى من تعالى عن الوقوع فى التغير ولذا قيل فى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن انها
شئون يبديها لا شئون يبتديها والا لم يجتمع مع قوله صلى الله عليه وآله
جف القلم بما هو كائن فظهور الشئون انما هو فى اجزاء الزمان وما بالنسبة
الى العالم وجفاف القلم فيما وراء الزمان وبالاضافة الى الحق جل وعز فى القدم
وتخصيص الزمانيات بوجوداتها فى اوقاتها المعينة الجزئية انما هو لتخصيص
استعداداتها وقابلياتها عليها كما ان قصور الادنى من الموجودات عن بلوغ الى
درجة الاشرف انما هو لقصور قابليته عن القبول الاتم ونقصانه الذاتى
عن الوجود الاقوم وذلك لان للموجودات درجات بعضها فوق بعض فلا
يتقدم متقدم الا بحق ولا يتأخر متأخر الا بحق لا يمكن ان يكون الا كذلك لان
ذاته تقتضى ذلك واستحقاقه يوجب ان يكون هنالك قال مولانا الباقر عليه السلام

ان الله الحليم العليم انما غضبه على من لم يقبل منه رضاه وانما يمنع من لم يقبل منه عطاه
وانما يضل من لم يقبل منه دراه الحديث اصل ان من الموجودات امورا الهية
روحانية تسمى بعالم الامر وذلك كالعقل الذي خلق اولا من نور البارئ جل ذكره
والنفس التي خلقت من نور العقل والهيولى الاولى التي هي ظل النفس وفيها الصور
ومنها امورا طبيعية جسمانية تسمى بعالم الخلق كالسموات والارضين وما فيهما
من الاجسام قال الله عز وجل الا له الخلق والامر اشارة الى العالمين اما الروحانيات
فحدوثها دفعة واحدة منتظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان
بل بقوله كن فكان كما قال سبحانه وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال عز وجل
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ومثال ذلك حدوث البرق و
اشراق نور الشمس في الهوا واضاءة الابصار ورؤية الاشياء دفعة واحدة
بلا زمان واما الجسمانيات فانما احدثت وخلقت على التدريج مع الاوان
ومر الدهور والازمان ومدة حدوثها وبقائها واحدة وذلك لان
حدوث هيولى الكل التي هي الجسم المطلق المسمى بالهباء الذي هو اول المخلوقات
الجسمانية الزمانية منطبق على الحركة والزمان ومنها وفيها وبها خلقت
سائر الاكوان ذوات الزمان والمكان وقد اتى عليه دهر طويل الى ان
تمخض وتميز اللطيف منها من الكثيف والى ان قبل الاشكال الفلكية الكرية

الشفاف

الشفافة وتركب بعضها جوف بعض والى ان استدارت اجرام الكواكب
النيرة وركزت مراكزها والى ان تميزت الاركان الاربعة وترتبت مراتبها و
انتظمت قال الله سبحانه خلق السموات والارض في ستة ايام وقال و
ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون الا ترى الى جسد الانسان الذي
يخلق من دم الطمث والمني في الرحم كيف يتمخض ويتميز ويصير بعضه عظاما صلبة
وبعضه لحما احمر وبعضه شحما دسما اصفر وبعضه عروقا مجوفة الى غير ذلك في مدة
معلومة واجل مسمى كذلك اجزاء تمام عالم الخلق فمن عجز فهمه عن تصور كيفية
تكوين الجسد عن دم الطمث فهو عن تصور كيفية تركيب الافلاك والارضين
ابعد وهو بها اجهل قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اصل وليعلم ان الاركان الاربعة متقدمة
الوجود على مولداتها بالايام والشهور والسنين والافلاك متقدمة الوجود
على الاركان بالازمان والادوار والقرانات وعالم الارواح متقدم الوجود
على الافلاك بالدهور الطوال التي لا تحصى والبارئ سبحانه متقدم الوجود على عالم
الكل كتقدم الواحد على جميع العدد من غير اوقات ولا مدد وصل روى
ابو احمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي في كتاب الخطب لامير المؤمنين عليه السلام
ان رجلا قال لامير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل كم مقدار ما لبث الله

عرشه على الماء من قبل ان يخلق الارض والسماء فقال الحسن ان تحسب قال نعم
قال لعلك لا تحسن قال بلى انى لاحسن قال علي عليه السلام افرايت لو كان
حبيبات خردل في الارض حتى سدت الهواء وما بين الارض والسماء ثم اذن لك
على ضعفك ان تنقلها حبة حبة من مقدار المشرق الى المغرب ثم مد في عمرك و
اعطيت القوة على ذلك حتى تنقلها واحصيتها لكان ذلك ايسر من احصاء
عدد اعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل ان يخلق الارض والسماء وانما
وصفت لك بعض عشر عشر العشر من جزء من مائة الف جزء واستغفر الله من القليل
من التحديد وروى هذا الحديث ايضا الحافظ رجب البرسي الحلي رحمه الله في كتابه
المسمى بمشارق الانوار وروى الشيخ المفيد طاب ثراه في كتاب الاختصاص عن جابر
بن يزيد انه قال سألت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام عن قول الله عز و
جل افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد قال يا جابر تاويل ذلك
ان الله عز وجل اذا افنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن اهل الجنة الجنة واهل النار
النار جدد الله تعالى عالما غير هذا العالم وجدد خلقا من غير فحول ولا اناث يعبدونه
ويوحدونه وخلق لهم ارضا غير هذه الارض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم
لعلك ترى ان الله عز وجل انما خلق هذا العالم الواحد وترى ان الله عز وجل لم
يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الله تعالى الف الف عالم والف الف آدم

وانت في

وانت في اواخر تلك العوالم واولئك الادميين ولعل صدر الحديث اشارة
الى عالم المثال التابع لهذا العالم لقوله عليه السلام من غير فحول ولا اناث و
قوله ارضا غير هذه الارض وسماء غير هذه السماء واما ذيله فاما اشارة الى
القرون السالفة والامم الماضية واما اشارة الى عالم المثال السابق على
هذا العالم ويؤيد الثاني قوله سبحانه في الحديث الآتي ولم اخلق من الطين
غيره واما تاويل الخلق الجديد بالمثال فلا ينافي ما مر من تاويله بالنشور لان
القرآن ذو وجوه من جهة التاويل وكل وجه منه حسن جميل وروى ذيل هذا الحديث
ايضا الشيخ الفقيه الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله في الخصال
من قوله لعلك ترى الى آخره وروى عنه ايضا انه روى عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال ان موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل ان يعرفه بدو الدنيا منذ
كم خلقت فاوحى الله تعالى اليه اتسألني عن غوامض علمي فقال يا رب احب
ان اعلم ذلك فقال يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة الف الف عام عشر مرات
وكانت خرابا خمسين الف عام ثم بدات في عمارتها فعمرتها خمسين الف عام
ثم خلقت فيها خلقا على مثال البقر ياكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين
الف عام ثم امتهم كلهم في ساعة واحدة ثم خربت الدنيا خمسين الف عام
ثم بدات في عمارتها فمكثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت فيها بحرا

فكلت البحر خمسين الف عام لاشرفي اجاام الدنيا بزيب منها ثم خلقت
دابة وسلطتها على ذلك البحر فشربته بنفس واحد ثم خلقت خلقا اصغر
من الزنبور واكبر من البق فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة فلدغها فقتلها
فكلث الدنيا خرابا خمسين الف عام ثم بدات في عمارتها فكلثت خمسين الف عام
ثم جعلت الدنيا كلها آجام القصب فخلقت السلاحف وسلطتها عليها فاكلتها
حتى لم يبق منها شيء ثم اهلكتها في ساعة واحدة فكلثت الدنيا خرابا خمسين
الف عام ثم بدات في عمارتها فكلثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت
ثلثين الف آدم ممن كان قبل آدم الى ان تلتون الف سنة فافنيتهم كلهم بقضائي
وقدري ثم خلقت فيها الف الف مدينة من الفضة البيضاء وخلقت في
كل مدينة مائة الف الف قصر من الذهب الاحمر فملات المدن خردلا الى ان
سد الهواء والخردل يومئذ الذ من الشهد واحلى من العسل وابيض من
الثلج ثم خلقت طيرا واحدا اعمى وجعلت طعامه في كل سنة حبة من الخردل فاكلها
حتى فنيت ثم خربتها فكلثت خرابا خمسين الف عام سنة ثم بدات في عمارتها
فكلثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت فيها اباك ادم بيدي يوم الجمعة
وقت الظهر ولم اخلق من الطين غيره واخرجت من صلبه محمد النبي صلى الله
عليه واله وروى هذا الحديث ايضا صاحب كتاب جامع الاخبار في كتابه وكت

مبانيه الفاظه الاخبار معانيه من الاسرار وغوامض واغوار لانهتدي الى
رموزها ولا تمكننا ان نعثر على كنوزها وليس لنا منها الا الاعتراف بالعجز و
القصور سوى انهم من ظاهرها في طول امتداد مدد الازمنة والدهور
من جهة البدو للعالم وكثرة اعداد آدم وبني آدم وهذا الذي حققناه في
معنى حدوث العالم هو الذي اطبق عليه الراسخون في العلم من الحكماء و
العارفين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين كما يظهر من تتبع كلمات اساطين
الحكمة وشيوخ المعرفة من المتقدمين والمتاخرين وقد اورد صاحب كتاب
الملل والنحل في كتابه من كلمات الاوائل في هذا الباب ما هو غنية لاولي الالباب
واما ما في كلام اهل المعرفة من ذلك نظما ونثرا فهو اكثر من ان يحصى ولنختم
الكلام حامدين لله مصلين على اهل بيت العصمة فقد كمل لب القول في
معنى الحدوث وتم والحمد لله وحده وصلى الله على محمد واله وسلم ٤٤
وقع العبد الضعيف المحتاج الى ربه رحمة ربه في كل سلك وموطن
محمد الدعي بمحسن من تسطير هذه الرسالة نقلا من خط جده و
مصنفها طاب ثراه في اواخر شهر الصيام
من شهور سنة ثمان وثلثين ومائة ١١٣٨
والف من الهجرة النبوية صلى
الله عليه واله

724

۷۲۵